هدية
مجانية مع العدد

مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثالثة والثلاثون . العدد الأول . المحرم ١٤٢٥ هـ . الثمن ١ جنيه

مشروع حفظ السُنَّة

عام جديد والقدوة المفقودة

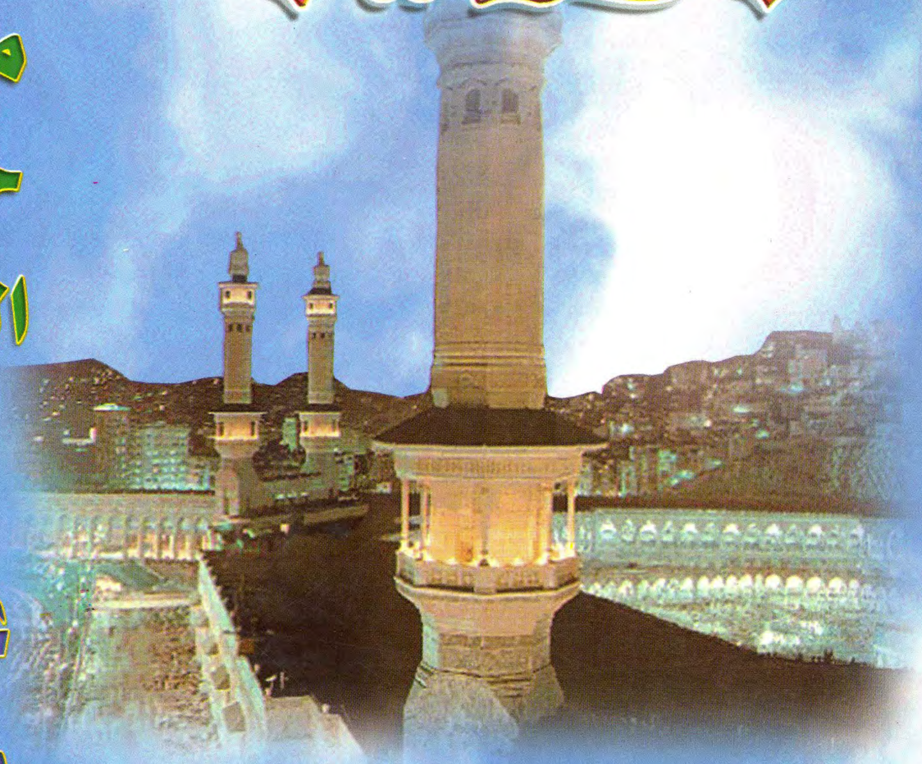

- حاجة الأمة إلى الوحدة والتواصي بالحق
- وجوب تفقد الزوجة حال زوجها
- الصلاة خلف من لا يجيد قراءة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي

مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

السلام عليكم

أمريكا والوجه القبيح !!

مع بداية عام هجرى جديد ما تزال الأمة الإسلامية تمر بمرحلة من التمزق والتفكك والتبعية وذبذبة الهوية والعجز عن الخروج من حالة التيه والتقليد !!

إن المسلمين مطالبون اليوم بتحديد المنطلق الصحيح في عملية التغيير التى تصبو إليها الأمة للخروج من هذا الواقع نحو غايتها المرجوة في مواجهة البجاحة الأمريكية التى كشفت عن وجهها القبيح عندما أصدرت قرارها الأخير والذى يكشف عن ما يكنه الغرب الأمريكان الصهاينة للإسلام والمسلمين للوصول إلى المرحلة الثالثة بعد تفتيت السلطة، وتفتيت الوطن وتغييبه في العراق، والآن تفتيت الأسرة العراقية من خلال إلغاء سلطة الإحتلال للقانون ١٨٨ لسنة ١٩٧٧ للأحوال الشخصية فى العراق.

وقانون الأحوال الشخصية الذى يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية الغراء، فقد يستطيع حاكم أن يلغى قانوناً أو يصدر قانوناً، أو يحل دستوراً كاملاً للبلاد، ولكن إلغاء قانون الأحوال الشخصية في العراق بقرار من السلطة إحتلال مؤشر على النية القبيحة المبيتة لمحو وإبادة كل ما يتعلق بالإسلام أو يربط هذا البلد بالمسلمين .

فنحن في زمن تتداعى فيه الأمم علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها فماذا أنتم فاعلون؟!

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com

موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت : ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات ت : ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير جمال سعد حاتم مدير التحرير الفني حسين عطا القراط

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلسا، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك - على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

في هذا العدد

الافتتاحية : «خصائص الأمة الإسلامية»	د. جمال المراكبى	٢
كلمة التحرير :	رئيس التحرير	٥
باب التفسير : سورة التحريم	د. عبدالعظيم بدوى	٩
باب السنة : «وجوب تفقد الزوجة حال زوجها»	زكريا حسينى	١٣
منبر الحرمين : «حاجة الأمة إلى الوحدة بالتواصى والحق»	الشيخ/عبدالرحمن السديسى	١٧
مشروع حفظ السنة :	التحرير	٢١
حديث الشهر : «نماذج من هدي الرسول ﷺ في التربية»	د/ عبدالله شاكر	٢٢
هل في الإسلام بدعة حسنة	معاوية محمد هيكل	٢٤
نظرات على الطلاق في الحيض	متولى البراجيلى	٢٧
الإختلاف في الدين :	للدكتور ابراهيم محمد البريكان	٣٠
القول السديد :	عبدالرازق عبدالمحسن البدر	٣٣
الواحة		٣٦
واقع الأمة	محمد صفوت نور الدين	٣٨
الإعلام بسير الأعلام	مجدى عرفات	٤٠
ماذا يحب الله	عدنان الطرشة	٤٢
ماذا يكره الله		٤٣
مختارات من علوم القرآن :	مصطفى البصراتي	٤٤
مفاهيم عقائدية :	اسامة سليمان	٤٦
أطفال المسلمين :	جمال عبدالرحمن	٤٨
مكتبة المركز العام	علاء خضر	٥٠
الثبات على الإيمان :	عادل عبدالرحمن محمد	٥٢
اسئلة القراء عن الاحاديث :	ابو اسحاق الحوينى	٥٣
تحذير الداعية :	على حشيش	٥٦
الفتاوى		٥٩
فتاوى ابن عثيمين		٦١
الأخلاق :	عاطف التاجوري	٦٣
عاشوراء تاريخيا وفضلا وبدعا :	ابو بكر محمد الحنبلى	٦٥
ليتنى كنت معهم :	محمد حسين يعقوب	٦٧
كيف نفهم العقيدة :	محمود عبدالرازق	٦٩
عام جديد والقدوة المفقودة	صلاح عبدالمعبود	٧١

التوزيع الداخلى

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

افتتاحية العدد

خصائص الأمة الإسلامية

بقلم/الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين... أما بعد:

فقد وصف الله المؤمنين بأنهم خير أمة أُخرجت للناس، فقال عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فرفع الله قدر هذه الأمة وشرفها واصطفاها على غيرها من الأمم، وجعلها خير أمة أُخرجت للناس، ولِمَ لا وهي أمة النبي الخاتم محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، فهي لم تدرك هذا الفضل إلا بإيمانها بالله، ومتابعة الرسول ﷺ، وبالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ذكر الله عز وجل، ولا ينال هذا إلا من استجاب لله وللرسول كما قال تعالى في وصف الصحابة الذين خرجوا مع النبي ﷺ بعد غزوة أحد، فكان الرجل يتهادى بين الرجلين لما به من الجراح والآلام: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

فبقدر الإيمان والاستجابة لله وللرسول تكون الخيرية لهذه الأمة، ولا يمكن أن تكون هذه الخيرية إلا لأمة الاستجابة.

أما أمة الدعوة ففيها المؤمن والكافر والمنافق واليهودي والنصاري وكل من بلغته دعوة النبي الخاتم منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يكون لهؤلاء فضل ولا شرف ولا خيرية إلا بالإيمان والاستجابة، وقد قال تعالى في آية الخيرية: ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وهؤلاء هم الذين آمنوا بالله ورسوله من أهل الكتاب، وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يؤتون أجرهم مرتين لأنهم آمنوا مرتين واستجابوا مرتين كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»، فذكر منهم رجلاً من أهل الكتاب آمن وصدق بالنبي ﷺ.

هذه هي أمة الإسلام، أعظم الأمم في الدنيا والآخرة، مثلها في عداد الأمم كالشعرة السوداء في جلدة الثور الأبيض، ومع هذا فهي في الذروة العالية: «إنكم توفون- تتمون- سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله». رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم.

إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، يعطيهم ربهم حلمًا وعلمًا من عنده سبحانه كما في الأثر الذي رواه أحمد والبزار والطبراني، وهم أكثر الأمم استجابة وتلبية، فلم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة، فمن ثم قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

ولهذه الأمة خصائص اختصها الله بها من بين الأمم، من هذه الخصائص ما هو في الدنيا،

ومنهـا مـا هو في الآخـرة، فـمن هذه الخصائص في الدنيا:

١- أنها الأمة المجاهدة، شرع الله لها جهاد الكفار والمنافقين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحل لهـا الغنائم، ولم تكن تحل لمن سبقها من الأمم، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وقال النبي ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي». فذكر منها: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي».]متفق عليه].

أما من قبلهم من الأمم فمن جاهد منهم في سبيل الله، لم يكن تحل لهم الغنائم، بل كانت تنزل عليهم نار فتحرقها كما في الصحيح.

٢- أنهـا الأمـة المحـفـوظة من الهـلاك والاستئصال، لا تهلك بسنة عامة، ولا يسلط الله عليها عدوًا من غيرها، يستأصل شأفتها، ولو اجتمع عليها كل أهل الأرض كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا». رواه مسلم.

٣- أنها لا تجتمع على ضلالة:

فهذه الأمة تتقلب بين حالين: حال غزو وتمكين تجتمع فيه الأمة على الحق دون تفرق ولا تشرذم، تعتصم بالله وبدينه وشرعه وتجتمع على إمام واحد، تسمع له وتطيع وتجاهد في سبيل الله تحت لوائه فيبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها ممتثلة قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقد وقع هذا للأمة في صدر الإسلام في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش». رواه مسلم.

وحال ضعف وفرقة وهوان بعدما أصاب الأمة ما أصاب الأمم قبلها من اختلاف وتفرق وتشرذم وبُعْدٍ عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهدي سلف الأمة، فتسلط عليها أعداؤها، وذلت بعد عز، ولكنها مع هذا كله لم تترك الحق بالكلية، فهي أمة التوحيد، لا تجتمع على باطل، بل يبقى فيها طائفة على الحق ظاهرين به لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وسوف ترجع الأمة إلى حال عزها تجاهد في سبيل الله وتجتمع على الحق حتى تقتل المسيح الدجال، وتقاتل اليهود، ويبارك الله في خراج الأرض، ثم يرسل الله ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى على الأرض إلا شرار الخلق، عليهم تقوم الساعة.

٤- ومن خصائص هذه الأمة أن الله تعالى رفع عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلها، فأحل لها كثيرًا مما حرم على غيرها، ولم يجعل عليها من حرج ولا عنت ولا شدة، بل يُسر وفرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال النبي ﷺ: «إني أرسلت بحنيفية سمحة».]رواه أحمد].

وقال: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ».

وقال لرسله وسفرائه ودعاته: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفر». قالها لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن.]رواه البخاري].

٥ - ومن هذا التيسير أن جعل الله لهذه الأمة الأرض مسجدًا وطهورًا، فقال النبي ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي». ذكر منها: «وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل».

٦- وتجاوز الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وعما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به».]متفق عليه].

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤ ,

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ

وجثوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال النبي ﷺ: «تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين قبلكم سمعنا وعصينا؟ ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما قالوا وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله التخفيف في قوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فنسختها. رواه أحمد ومسلم.

٧- واختص الله هذه الأمة بأن جعل الله صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «ألا تصفون كصفوف الملائكة عند ربها». قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف ويتراصون في الصف.]رواه مسلم[.

٨- ومن خصائص هذه الأمة: يوم الجمعة، خير يوم طلعت فيه الشمس اختلفت فيه الأمم قبلنا، فهدانا الله إليه. قال رسول اللّه ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد».]متفق عليه[.

٩- وفضل الله هذه الأمة فجعلها من الشهداء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا؛ فلقول النبي ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض».

ففي الصحيحين عن أنس قال: مرت جنازة فأُثني عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ومُر بجنازة فأثني عليها شرًا فقال النبي ﷺ: «وجبت». فسأل عمر النبي ﷺ عن هذا فقال: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

وأما في الآخرة فلقول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا. فيقول الله: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، وهذا قول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾».

ومن هذه الخصائص ما اختص الله به هذه الأمة في الآخرة فضلاً عن أنهم الشهداء على الناس يوم القيامة، فهم الآخرون السابقون والغر المحجلون، أول من يجيز الصراط وأول من يدخل الجنة وهم أكثر أهل الجنة.

ففي الصحيح أن رسول اللّه ﷺ قال: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبر الصحابة، فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

وقد حقق الله رجاء نبيه ﷺ وأعطاه فوق ما يرجو، فقال النبي ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة».]رواه الترمذي[.

ولا ينال هذا الخير إلا من حقق التوحيد وتابع النبي ﷺ، أما أهل البدع والضلال فلا تصيب لهم في هذا الخير إلا بقدر قربهم من الحق ومتابعتهم للسنة، بل يُزادون عن حوض النبي ﷺ ولا يخلو زمان من متبع للحق ناصر للسنة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

فأهل الحق والطائفة الناجية هم المتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة، ففي العقيدة يتمسكون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من التوحيد الخالص في ألوهية الله عز وجل وربوبيته وأسمائه وصفاته، وما كان عليه سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ وخاصة الخلفاء الراشدين ومن تابعهم بإحسان، ويهجرون مسالك أهل البدع ومناهجهم التي فرقوا بها أهل الدين وجعلوهم شيعًا.

وفي العبادة يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ في العبادات في أجناسها وصفتها وقدرها وزمنها ومكانها دون أدنى ابتداع في الدين.

وفي الأخلاق يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ من رفق ولين وخلق عظيم.

وفي المعاملات يتمسكون بالحلال البين ويتعاملون بالصدق والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

والحمد لله رب العالمين

كلمة التحرير

بقلم

رئيس التحرير

عام جديد وأمة جريحة

الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فتستقبل الأمة الإسلامية عامًا هجريًا جديدًا... وجسدها الإسلامي مصاب بجراحات كثيرة، فالطعنات تكال للمسلمين في كل مكان، وكراهية الغرب المتوارثة للإسلام والمسلمين عميقة ومتأصلة وهي ترجع إلى القرن السابع الميلادي الذي حرر فيه الإسلام العرب من قهر الاستعمار الروماني، وقد ذكر الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة»: أن عداء الغرب للمسلمين هو الأمر الأكثر شيوعًا والأسوأ صورة لدى الشعب الأمريكي، إذ ينظر الأمريكيون إلى المسلمين على أنهم شعوبٌ غير متحضرة وعنفويون ودمويون، ويؤكد على أنه لا توجد صورة أسوأ في ذهن المواطن الأمريكي وضميره من صورة العالم الإسلامي، والحملة على الحجاب في فرنسا وألمانيا ما زالت ماثلة أمام أعيننا لتؤكد حقد الغرب ضد الإسلام والمسلمين وكراهيتهم وعنصريتهم!!

إن الناظر بعين الإنصاف والبصيرة يعلم أن ما أصاب المسلمين إنما هو من جراء أنفسهم وذنوبهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

كيان الأمة مستمد من روح الدين الإسلامي

وعلى الأمة الإسلامية أن تجعل لنفسها وجودًا وكيانًا مستقليْن، مستمديْن من روح الدين الإسلامي، وأن تكون معلنة عن هويتها متميزة عن غيرها في كل ما ينبغي أن تتميز به من الأخلاق والآداب والمعاملات لتبقى أمة بارزة مرموقة لا تابعة لغيرها منحدرةً في تقليد من سواها، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فالتاريخ اليومي يبدأ من غروب الشمس والشهري يبدأ من الهلال، والسنوي يبدأ من الهجرة، هذا ما جرى عليه المسلمون وعملوا به، واعتبره الفقهاء في كتبهم في حلول آجال الديون وغيرها. قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

الأمة الإسلامية بين منعطفين

تقف الأمة على طرف قنطرة نُوشك أن نعبرها، لتستقر أقدامُنا على طرف قنطرة أخرى نستقبلها، مودعين موسمًا كاملا أودعنا فيه ما شاء الله أن نودع من أعمال، فخزائن بعضنا ملئت بما هو له، وخزائن البعض مُلئت بما هو عليه، ومن الناس من جمع بين ما له وما عليه، مستقبلين عامًا جديدًا.

نستقبل عامًا جديدًا والألم والحزن يعتصر كل مسلم، مثلما اعتصر الألم العالم النووي الباكستاني البارز «البروفيسير عبد القدير خان» الملقب بأبي القنبلة النووية الإسلامية، حينما وقف على شاشة التلفاز أمام العالم أجمع ليعلن مسئوليته عن تسريب أسرار صناعة القنبلة النووية إلى كل من ليبيا وإيران وهما دولتان إسلاميتان، طالبًا الصفح والعفو ليكون خان وزملاؤه ضحايا المؤامرة التي تمارسها كثير من الأنظمة السياسية حينما تضع أفضل الناس تحت أقدامها حتى تنجو.

ومن خلال متابعة تصريحات المسئولين في الوكالة الدولية للطاقة النووية يتضح أن بعض الأنظمة قد كشفت أسرار كل من تعاون معها في مجال تطوير برامجها النووية أو على الأصح باعتهم بثمن بخس.

ومن المؤكد أن عبد القدير خان وزملاءه الذين مدوا يد العون لهذه الأنظمة قد دفعوا في النهاية ثمن ممارستهم التي من المستحيل أن يكون قد تم دعمها دون علم المؤسسة العسكرية الباكستانية لا سيما أن خان ليس رجلا حر الحركة، بل إنه يتحرك دائمًا تحت الحراسة، ورغم إعلان رئيس المخابرات المركزية الأمريكية «سي. أي . إيه» جورج تينت يوم الخميس الماضي أنهم قد تمكنوا من اختراق شبكة خان وزملائه قبل سنوات إلا أن هذه الأكذوبة يمكن ضمها لملف أكاذيب الحرب على العراق التي جعلتنا في دوامة من التصريحات المتضاربة من القادة السياسيين والعسكريين والاستخباريين الأمريكيين الذين يعيشون ورطة وتضاربًا بلا حدود بسبب أكذوبة أسلحة الدمار الشامل.

إن تغيير صورة العلماء الباكستانيين الذين كانوا أبطالا في عيون الأمة كلها إلى مجرمين يطلبون الصفح والغفران لهو جريمة كبرى تستحق أن تعتذر الأمة كلها إلى عبد القدير خان وزملائه عما أصابهم فقد كانوا أبطالا حينما أفادوا شعبهم وكانوا رجالا شجعانًا حينما أرادوا أن يفيدوا أمتهم وقد كان خان بطلا حينما وقف ليفتدي النظام الباكستاني والمؤسسة العسكرية ويعلن تحمله المسئولية عما حدث، وإن الأمة ستقف عاجزة عشرات السنين حتى تستطيع أن تكسر الخوف الذي ألم بعلمائها - ولله درهم - حتى يأتي الله بمن يعيد لهم مجدهم وعزهم وكرامتهم وشجاعتهم.

حال الاتحاد النصراني اليهودي

يمضي العام بكل ما حمل في طياته وليس تعداد مصائب الأمة وجراحاتها من باب إدخال اليأس والقنوط على النفوس، ولكن يذكر ذلك من باب شحذ الهمم وإيقاظ العزائم وبث الحَمِيَّةِ الإسلامية الصحيحة في

•• تستقبل الأمة الإسلامية عامًا هجريًا جديدًا.. وجسدها الإسلامي مصاب بجراحات كثيرة.. فالطعنات تكال للمسلمين في كل مكان !!

•• على الأمة الإسلامية أن تجعل لنفسها وجودًا وكيانًا مستقلين، معلنة عن هويتها، متميزة عن غيرها في كل ما ينبغي أن تتميز به !!

نفوس المسلمين، لأن حال كثير من المسلمين على مستوى بلاد العالم الإسلامي حال يرثى لها بسبب التبعية لأعداء الإسلام والإعجاب بهم إعجابًا مطلقًا، إضافة إلى إنحلال كثير من المسلمين من قيم الإسلام وآدابه، بل إن بعض المسلمين لم يكتف بالتحلل من قيم الإسلام فحسب، وإنما أصبح عونًا لأعداء الإسلام ومكثِّرًا لسوادهم. فأضحى خطرًا كبيرًا على الإسلام وأهله.

وأعداء الإسلام لا يتورعون في الإعلان عن حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين، فهذا «الدبليو بوش» فيما يسمى خطاب الاتحاد الذي ألقاه عن حال الاتحاد النصراني اليهودي في ٢٩ / ١ / ٢٠٠٢ ونشر مترجمًا على النت متضمنًا تفصيلا عن الخطط الأمريكية المستقبلية للسياسة الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي - يقول بوش: أود بكل اعتزاز أن أقول لكم إن حال الاتحاد المسيحي - اليهودي الأبيض والثري، قوية تمامًا، ولم يحدث أبدًا في تاريخنا أن كانت القوة الأمريكية والهيمنة الأمريكية والقيم الأمريكية قوية ومهابة ومحترمة ومقبولة في العالم كما هي اليوم، فاليوم يوجد العلم الأمريكي، والقوات المسلحة الأمريكية، ووكالة الاستخبارات المركزية «سي. أي. إيه» ومكتب التحقيقات الفيدرالي في أكثر من ١٠٠ دولة لضمان السلام والإذعان والتحرر من الخوف والإرهاب، وينبغي أن يكون الأمريكيون فخورين بي وبحكومتهم وبرجال القوات المسلحة ونسائها الذين يضحون بمباهج الحياة من أجل ضمان استمرار أسلوب حياتنا الأمريكية.

وعلى الرغم من أن الحرب في أفغانستان توشك على نهايتها فإن أمامنا طريقًا طويلا ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل مسلم مجردًا من السلاح وحليق الوجه وغير متدين ومسالمًا ومحبًا لأمريكا ولا يغطي وجه امرأتِه نقابٌ.

وسنبدأ العمل على الفور بالحفر في أرجاء أراضينا في التنقيب عن النفط. وسنبدأ العمل في مشروع طموح لبناء خط أنابيب مباشر تحت الماء يمرّ من السعودية والخليج وإيران والعراق إلى نيويورك وعلى نفقتهم.

لقد حان الوقت لنعيد تشكيل العالم ليصبح على صورتنا وبفضل «إلهنا» سنقوم نحن شعوب من الجنس الأبيض المتحضر بفرض معتقداتنا الرزينة والودودة والتحررية على عالم جائع لأموالنا ورسالتنا، ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى، ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن، ومن الآن فصاعدًا يحق للعالم تناول الخمر والتدخين، وممارسة الجنس السوي، أو الشذوذ الجنسي بما في ذلك سِفاح القربى واللواط، ومشاهدة أفلام السلب والقتل والأشرطة الخليعة داخل فنادقهم أو غرف نومهم!! وبالنسبة لشركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات فسيحق لها الوصول من دون أي عقبات للدول المختلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها!!

•• خزائن بعضنا ملئت بما هو له، وخزائن البعض الآخر ملئت بما هو عليه، ومن الناس من جمع بين ما له وما عليه !!

•• تقف الأمة على قنطرة نوشك أن نعبرها لتستقر أقدامنا على طرف قنطرة أخرى نستقبلها

إنني أمل أن أكون قد حافظت على إرث آل بوش حيًا بمحاربة العرب والمسلمين طيلة عشر سنوات لضمان عدم استمرار الفوضى في بلادهم!!! أهـ

تكالب أعداء الإسلام.. وتفرق كلمة المسلمين

مضى عام وانقضى وأحوال المسلمين توجب التفكر والتدبر والمراجعة والإصلاح لهذه الأحوال؛ فقد تكالب عليهم أعداء الإسلام، وتفرقت كلمة المسلمين، وتشتت آراؤهم، وتفشت بينهم البدع، وصار بعضُهم يكيد لبعض، وصار بأسُهم بينهم، واشتدت كرباتُهم، وساءت أحوالهم، ويعلم كل مسلم أن سبب ذلك كله هو تفريطهم في دينهم، فإذا أصلح المسلمون ما بينهم وبين ربهم أصلح الله ما بينهم وبين الناس، وأصلح ذات بينهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وإن أول خطوة لإصلاح حال المسلمين هي صلاح الفرد والجماعة، بأن يحاسب كلٌّ نفسه على كل شيء قبل أن يحاسبه الله، أن يحاسب نفسه: ماذا قدّم للإسلام من عمل صالح؟ هل هو مُعَظِّمٌ لأمر الله بالامتثال والخضوع والانقياد والمحبة؟ هل هو مُعَظِّمٌ لنهي الله بالابتعاد عن محارم الله وبُغضها؟ هل هو مُعَظِّمٌ لشرع الله؟ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠]، هل المسلم معظِمٌ لسنّة رسوله ﷺ بالتعليم والاتباع والتعلم وكراهية المخالفة والابتداع؟ هل هو قائم بحقوق الوالدين والأقربين والمسلمين؟ هل يُحدِث لكلّ ذنبٍ توبة نصوحًا؟ هل يبكي على خطيئته؟ هل يزداد كلَّ يوم علمًا وفقها وعملا صالحًا في دين الله دين الإسلام الذي رضيه الله للعالمين؟!!!

عامٌ ولّى ذهب ظرفه.. وبقي مظروفه

إن هذا العام الذي ولى مدبرًا قد ذهب ظرفه وبقي مظروفه بما أودع فيه العباد من الأعمال، وسيرى كل عامل عمله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

سيرى كل عامل عمله ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

سَيُسألُ العبدُ عن جميع شئونه في الدنيا، وربه أعلم به، لكن ليكون الإنسان على نفسه بصيرة، أخرج الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند الله حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟» فالحذر من التفريط والتسويف.

نسألك اللهم أن تصلح قلوبنا وأن تسخر جوارحنا في مرضاتك، اللهم وفق حكامنا وعلماءنا وشيبنا وشبابنا إلى ما فيه صالح البلاد والعباد، اللهم اجعل عامنا الجديد عام صلاح وفلاح للإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●● نستقبل عامًا جديدًا والألم والحزن يعتصر كل مسلم مثلما اعتصر الألم العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان الملقب بأبي القنبلة النووية الإسلامية !!

سورة التحريم

•• الحلقة الأولى ••

إعداد

د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ١ - ٥]

سورة مدنية، تعالج واقعةً من الوقائع التي وقعت في بيوت النبي ﷺ، وهي تظاهرُ امرأتين من نسائه عليه حتى جعلتاه يحرّم على نفسه بعض ما أحلّ الله له، فنزلت السورة بعتاب النبي ﷺ على ما حرّم على نفسه، وعتاب المرأتين على تظاهرهما عليه، وتهديد سائرهنّ بالطلاق، وإبدال الله نبيه خيرًا منهن مسلمات مؤمنات تائبات عابدات سائحات ثياب وأبكارًا.

وبمناسبة الحديث عن بيوت النبي ﷺ تأمر السورةُ الرجال القائمين بأمر بيوتهم أن يعملوا على وقاية أنفسهم وأهليهم من النار، وتأمرهم بالتوبة رجاءَ أن يكفّر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

ثم تختم السورة بضرب الأمثلة للنساء، ولا سيما أزواج النبي ﷺ اللائي تظاهرْن عليه، لتعلم النساء أنّ الأزواج الصالحين لن يغنوا عن نسائهم شيئًا، وأنّ النساء الصالحات لا يحملن من أوزار أزواجهن شيئًا، وأنّ غير ذات الزوج من النساء لن يضرّها عدمُ زواجها، وإنما ينفعها إيمانُها والعملُ الصالح.

تفسير الآيات

اختُلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزل بسبب تحريم النبي ﷺ العسلَ، كما روى البخاري عند هذه الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يشربُ عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكني كنت أشربُ عسلاً

عند زينب ابنة جحش فلن أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحدًا».

وقيل: نزلت في شأن مارية، كما روى النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمةٌ يطؤها، فلم تزل به عائشةُ وحفصة حتى حرّمها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾؟ إلى آخر الآية.

قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره: فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمعُ ممكنٌ بوقوع القصّتين: قصةِ العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعًا، وفي كل واحدة منهما أنه أسرّ إلى بعض أزواجه. اهـ.

وقد استفتحت السورةُ بالنداء على النبي ﷺ بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ولم ينادَ النبي ﷺ في القرآن باسمه المجرد أبدًا، وإنما يُنادى دائمًا بلقب النبوة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، أو لقب الرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، وفي هذا تعليمٌ للأمة وإرشادٌ لها إلى أنها أَوْلَى بذلك في نداء نبيها، وقد جاء النهيُ صراحةً عن ندائه ﷺ بـ «يا محمد، أو يا أحمد»، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، وبعد هذا اللطف، وبعد هذا الودّ يأتي العتاب: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من الطعام أو النساء، على حسب ما سبق في سبب النزول: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلبُ رضا أزواجك بتحريم ما أحلّ الله لك؟ ومهما يكن، فـ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: قد شرع الله لكم ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة، ولذلك كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: في الحرام يمينٌ تكفرها، ثم يقرأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يعني أنّ رسول الله ﷺ حرّم جاريته أو العسل فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

فإذا حرّم الرجلُ على نفسه طعامًا أو شرابًا أو لباسًا، أو حرّم على نفسه دخول دار، أو ركوبَ دابة، فعليه كفارةُ يمين وإذا حرّم على نفسه وطءَ امرأته فعليه كفّارةُ يمين.

والكفّارة هي المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، ومما يجدرُ التنبيه عليه أن الصيام لا يجزئ مع القدرة على خصلةٍ من الخصال الثلاث السابقة، فلابدّ من التكفير بواحدة منها مع القدرة عليها، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يتولاكم بلطفه ورعايته، وفضله وإحسانه، كما يتولاكم بتشريع ما يعود عليكم بالمصلحة والنفع والخير في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما فيه مصالحكم، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره وجميع أمره.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ وهو أنّ العسل عليه حرام، أو مارية، فلم تحفظ سره، ونبأت به صاحبتها، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾، وإفشاءُ السر خيانةٌ للأمانة، ونقضٌ للعهد؛ لأنّ الذي يسرّ إلى صاحبه سرًا يحب أن يُصان هذا السر، ويكره أن يُذاعَ، فإذا صان الصاحبُ سرّ صاحبه

ذاعت الطمأنينةُ والثقةُ في الناس بعضهم ببعض، وإذا أذاع الصاحبُ سرَّ صاحبه فُقِدتِ الثقةُ من الناس بعضهم ببعض، ولذلك كان العتابُ شديدًا للزوجتين اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ وأذاعتا سرّه: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: قد مالت قلوبكما عن الحق والهدى وما يجب عليكما من الإخلاص لرسول الله، فهلا تتوبان إلى الله وتستغفرانه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إن استغفرتما. ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، ثم يشتد الوعيدُ فيصل إلى درجة التهديد بالطلاق: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾، والإسلام في الظاهر انقيادُ الجوارح وخضوعها واستسلامُها لله وأوامره، والإيمانُ في القلب، وهو أعلى درجة من الإسلام، والقنوتُ هنا دوام الطاعة لله ربّ العالمين، والسياحة المراد بها الصيام، ولما كان من أزواج النبي ﷺ الثيبات والأبكار، وصف الزوجات اللاتي وعده أن يبدله بهنّ بأنهنّ ثيبات وأبكار. ولما نزلت الآيات وجد النبي ﷺ على نسائه فحلف أن لا يدخل عليهن شهرًا، واعتزلهنّ في مشربة له، ينزل للصلاة فقط ولا يدخل عليهن، حتى قال الناس: طلّق النبي ﷺ نساءه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزلْ حريصًا على أن أسأل عمرَ بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حجّ وحججتُ معه، وعَدلَ وعَدلْتَ معه بإداوةٍ، فتبرز ثم جاء، فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ قال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشةُ وحفصةُ. ثم استقبل عمرُ الحديثَ يسوقه قال: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أميّة بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنّا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلتُ جيئتُه بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلبُ النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قومٌ تغلبهم نساؤُهم، فطفق نساؤُنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبتُ على امرأتي فراجعتني، فأنكرتُ أن تراجعني، قالت: ولم تُنْكِرُ أن أراجعَك؟ فوالله إنّ أزواجَ النبي ﷺ ليراجعنه، وإنّ إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك، فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهنّ، ثم جمعتُ عليّ ثيابي، فنزلتُ فدخلتُ على حفصة فقلتُ لها: أيْ حفصة، أتُغَاضِبُ إحداكنّ النبي ﷺ اليومَ حتى الليل؟ قالت: نعم. فقلتُ: قد خِبْتِ وخَسِرْتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك ولا يغرنّك أن كانت جارتك أَوْضَأَ منك وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة- قال عمر: وكنّا قد تحدّثنا أن غسّان تُنْعِلُ الخيلَ لتغزوَنا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاءً، فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثم هو؟ ففزعتُ فخرجتُ إليه، فقال: قد حدث اليوم أمرٌ عظيم، قلتُ: ما هو؟ أجاء غسّان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلّق النبي ﷺ نساءه، فقلتُ: خابتْ حفصةُ

وخسرت، وقد كنتُ أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعتُ عليّ ثيابي، فصليتُ صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبي ﷺ مَشْرُبةً له فاعتزل فيها، ودخلتُ على حفصة فإذا هي تبكي، فقلتُ: ما يبكيكِ؟ ألم أكنْ حذرتك هذا؟ أطلقكنّ النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزلٌ في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر، فإذا حوله رهطٌ يبكي بعضُهم، فجلستُ معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ، فقلت لغلامٍ له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمتُ النبي ﷺ وذكرتُك له فصمت، فانصرفتُ حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت فقلتُ للغلام: اسْتَأْذِنْ لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتُك له فصمت، فرجعتُ فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام، فقلت: اسْتَأْذِنْ لعمر، فدخل ثم رجع فقال: ذكرتُك له فصمت، فلما ولّيتَ منصرفًا إذا الغلام يدعوني فقال: قد أَذِنَ لك النبي ﷺ، فدخلتُ على رسول اللّه ﷺ فإذا هو مضطجعٌ على رمالِ حصيرٍ ليس بينه وبينه فراشٌ قد أثّر الرمال بجنبه، متكئًا على وسادةٍ من أدم حشوها ليف، فسلّمتُ عليه، ثم قلتُ وأنا قائم: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع إليّ بصره، فقال: لا، فقلتُ: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أَسْتَأْنِسُ يا رسول الله؟ لو رأيتني وكنّا معشر قريش نغلبُ النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قومٌ تغلبُهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلتُ: يا رسول الله، لو رأيتني ودخلتُ على حفصة فقلتُ لها: لا يغرنّك أن كانت جارتُك أَوْضَأَ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسّم، فرفعتُ بصري في بيته، فوالله ما رأيتُ في بيته شيئًا يرد البصر، غير أَهَبَةٍ ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ادْعُ الله فليوسِّعْ على أمّتك، فإنّ فارس والرومَ قد وُسِّع عليهم وأُعْطُوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: أَوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قومٌ قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أَفْشَته حفصةُ إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدّة موجدته عليهنّ حين عاتبه اللهُ عز وجل، فلما مضت تسعٌ وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشةُ: يا رسول الله، إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة، أُعدّها عدًا! فقال: الشهرُ تسعٌ وعشرون ليلةً، فكان ذلك الشهرُ تسعًا وعشرين ليلةً، قالت عائشةُ: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خيّر نساءه كلهن فقلن مِثْلَ ما قالت عائشة.

وحَلِفُه ﷺ هذا يسمّى الإيلاء: وهو أَنْ يَحْلِفَ الرجلُ أن لا يدخل على امرأته، أَوْ أن لا يطلقها، فإن قيّد اليمين بمدةٍ ثم برّ بيمينه فلا شيءَ عليه، كما كان من النبي ﷺ، وإن حنث فعليه كفارةُ اليمين، أما إن أطلق اليمين ولم يقيّدها بمدةٍ فإنه يُمْهَلُ أربعة أشهرٍ، ثم يُؤْمَرُ بالفيءِ أي العودة إلى المعاشرة بالمعروف، وإلا طَلَق، فإن أبى طلق عليه الحاكم. قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

باب السنة

وجوب تفقد الزوجة حال زوجها

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها اشترت نُمْرُقةً فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله، فعرفتُ في وجهه الكراهية، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ فقال ﷺ: «ما بال هذه النمرقة؟» قلتُ: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسّدها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في ستة مواضع من صحيحه في كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء برقم ٢١٠٥، وكتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه برقم ٣٢٢٤، وكتاب النكاح بل هل يرجع إذا رأى منكرًا في الدعوة برقم ٥١٨١، وكتاب اللباس باب من كره القعود على الصور برقم ٥٩٥٧ باب من لم يدخل بيتًا فيه صورة برقم ٥٩٦١، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون» برقم ٧٥٥٧، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان ٩٦ برقم (٢١٠٧)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الاستئذان.

شرح الحديث

قـوله: «نمرقـة»: قـال في النهـاية: أي وسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، وبغير هاء، وجمعها نمارق، وقال النووي في شرح مسلم: هي بضم النون والراء، ويقال بكسرهما، وقال بضم النون وفتح الراء ثلاث لغات، ويقال نمرق بلا هاء وهي وسادة صغيرة، وقيل هي مرفقة.

قول عائشة رضي الله عنها: «فلما رآها رسول اللَّه ﷺ قام على الباب فلم يدخله». قال الحافظ في الفتح: قال الرافعي: وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان؛ قال الأكثر: يكره، وقال أبو محمد: يحرم، فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهليزها لا يمنع الدخول؛ قال: وكان السبب فيه أن الصورة في الممر ممتهنة، وفي المجلس مكرمة، قلت: وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما أنه لا فرق. اهـ من الفتح.

قولها رضي الله عنها: «فعرفت في وجهه الكراهة، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟» فيه: أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا غضب لشيء أو كره شيئًا عُرف ذلك ورُؤي في وجهه ﷺ، وأنه كان يغضب ويظهر على وجهه أثر ذلك إذا رأى مخالفة لأمر الله تعالى، أو رأى ما يكره ولا سيما هذا فإن وجود الصور يمنع دخول الملائكة، والرسول ﷺ يعرف أهمية دخول الملائكة البيت فإنها تخف الذاكرين الله تعالى، وتتنزل بالرحمة من رب العالمين، وتأتي من الله عز وجل بالبركة، أما من لا يَقْدُرُ هذه الأمور قدرها فإنه لا يبالي دخلت الملائكة أو خرجت، بل وُجِدَت الملائكة أم وُجِدَت الشياطين لا فرق عند كثير من الناس اليوم، فإذا مستهم الشياطين وركبتهم الوساوس والأمراض بحثوا عمن يخرجهم مما هم فيه، فإذا قيل لأحدهم أو لإحداهن: الجأ إلى الله، واقرأ القرآن والزم ذكر الله

كان رسول اللَّه ﷺ إذا غضب لشيء أو كره

يجب على المرأة أن تراعي حال زوجها وتتفقد رضاه

نسوق هذه الأحكام لمن يؤمنون بالله واليوم

تعالى، فإنه يقول: قرأت وقلت الأذكار ولكن لم ينفع ولم يجد، والسبب في ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر وانعدام الثقة بالله والتوكل عليه.

وفيه أيضًا: أن المرأة يجب عليها أن تراعي حال زوجها وتتفقد رضاه وتحرص عليه، وتنأى عما يغضبه، فإذا عرفت أو تبين لها أنه غضب لشيء سارعت بتغييره أو الاعتذار عما بدر منها، وهذا الأدب يظهر في تساؤل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ هذه الزوجة التي يشنع من لا خلق له ولا عقل متبعًا شنشنة أعداء الإسلام يشنع عليها بأنها الصغيرة التي لا يليق أن نأخذ عنها، بل ربما طعن في الحديث وفي قبوله لأنه جاء من طريقها. أقول هذا الأدب يجب على نسائنا أن تتأدب به وتعيه وتتفهمه فإنه والله نعم الأدب، وفي قولها رضي الله عنها: «اشتريتها لك لتقعد عليها وتتوسدها» بيان منها للسبب الذي اشترت من أجله النمرقة، وأنه لتكريم رسول اللَّه ﷺ، ولم تمنَّ عليه ﷺ، ولم تعاتبه، ولم تقل له: أهلكذا تقابل إحساني بالإساءة، كما يحدث من كثير من النساء مع أزواجهن، بل قدمت بين يدي هذا البيان، أي قبل أن تقول: اشتريتها لك، أتوب إلى الله وإلى رسوله، وهذا أدب رفيع ممن لقبها الله

شيئًا عُرف ذلك ورُؤي في وجهه ﷺ

وتحرص عليه، وتنأى عما يغضبه

الآخر، ويتحرون سنة نبيهم ﷺ

تعالى مع سائر أزواجه ﷺ ورضي عنهن بأمهات المؤمنين.

قوله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم». قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: وفي الرواية السابقة: «أشد الناس عذابًا يقوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى». وفي رواية: «الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وفي رواية ابن عباس: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم»، وفي رواية قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة».

ثم قال النووي رحمه الله: وأما قوله ﷺ: «ويُقال لهم أحيوا ما خلقتم» فهو الذي يسميه الأصوليون أمر تعجيز، كقوله تعالى: «﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾»، ثم قال رحمه الله تعالى: وهذه الأحاديث صريحة في تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به، وسواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهدًا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه، قال القاضي، لم يقله أحد غير مجاهد، واحتج مجاهد بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» ويؤيده حديث ابن عباس المذكور في الكتاب- أي في صحيح مسلم- «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له».

قال النووي رحمه الله:وأما رواية: «أشد الناس عذابًا» فقيل: هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذابًا، وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير كسائر المعاصي ولا يكفر.

وأما قوله تعالى: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة»، فالذرة بفتح الذال وتشديد الراء، ومعناه فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى، وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أو غيرها مما فيه طعم يؤكل ويزرع وينبت، وهذا أمر تعجيز كما سبق. والله أعلم.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا الحديث من أصح ما يروى عن النبي ﷺ في هذا الباب، وهو مخالف لحديث أبي النضر في قوله: «إلا ما كان رقمًا في ثوب»؛ لأن هذا قد صرح بأن الصورة في الثوب لا يجوز اتخاذها، ولا استعمال الثوب الذي هي فيه، وذكر فيه من الوعيد ما ترى، وهو غاية عمل الصور في الثياب وغيرها ولم يخص فيها ما يوطأ ويتوسد مما يمتهن وينصب، ثم قال: هذا ما يوجبه ظاهر هذا الحديث، وهو أشد حديث روي في هذا الباب وهو أحسنها إسنادًا وأصحها نقلاً.

ثم قال أبو عمر رحمه الله تعالى: وأما اختلاف العلماء في هذا الباب فعلى حسب اختلاف الآثار فيه وتأويلها، فكان ابن شهاب- فيما ذكر عنه معمر وغيره- يكره التصاوير في الثياب وغيرها، ما نصب منها وما بسط، على ظاهر حديثه هذا عن القاسم

بن محمد عن عائشة.

وقالت طائفة: إنما يكره من التصاوير ما كان في حيطان البيوت، وأما ما كان رقمًا في ثوب فلا يكره وذلك على حديث سهل بن حنيف، وسواء كان الثوب منصوبًا أو مبسوطًا. وقال آخرون: لا يجوز استعمال شيء من الثياب التي فيها الصور، إذا كان الثوب ينصب أو يلبس، وإنما يجوز ما كان يوطأ. وساق ابن عبد البر رحمه الله عدة آثار على ذلك ثم عقب عليها بقوله: هذا المذهب أوسط المذاهب في هذا الباب. ثم ساق بعد ذلك قولين آخرين بقوله رحمه الله: وقال قوم: ما قطع رأسه فليس بصورة، روي ذلك عن ابن عباس وقالت به طائفة.

وقال: ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يكره من الصور إلا ما له ظل مما له روح، من تمثال النحاس والجواهر كلها والطين، وكل ما إذا صُوِّرَ كان له ظل.

ثم عاد رحمه الله تعالى إلى حكاية القول الأول، فقال: وذهب غيرهم من أهل العلم إلى أن المكروه من الصور، ما كان له روح من كل حيوان، من أي شيء صنع كان له ظل أو لم يكن. ثم ساق حجتهم من الحديث الذي معناه في هذا الباب وهو حديث عائشة المذكور وحديث ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة فإن الله معذبه يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». اهـ. الاستذكار مختصرًا.

وأخيرًا فإننا نسوق هذه الأحكام لمن يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويتحرون سنة نبيهم ﷺ ليعملوا بها، وأما من ينظرون إلى الصور وهذه النصوص فيها وفي أمثالها على أنها من الأمور الصغار، أو غير المهمة والتي يجب أن تؤجل حتى تجتمع كلمة الأمة على الإسلام أولاً، ثم بعد ذلك نبحث هذه الأمور ونتعلمها أو لا نتعلمها، فإننا نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية إلى الصراط المستقيم، وإني لا أدري على أي شيء ستجتمع الأمة إذا لم تجتمع على توحيد الله تعالى ومعرفته ثم معرفة أحكامه وذلك من خلال معرفة كتابه وسنة رسوله ﷺ بكمالها وشمول الإسلام لجميع مناحي الحياة نسأل الله أن يوحد صفوف المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق، وليس على التهاون بالسنة والتقليل من شأنها.

وأخيرًا، فإن الإمام البخاري رحمه الله تعالى ساق هذا الحديث في كتاب البيوع باب «التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء مع حديث ابن عمر: أرسل النبي ﷺ بحلة حديد أو سيراء- فرآها عليه، فقال: «إني لم أرسل بها إليك لتلبسها، إنما يلبسها من لا خلاق له، إنما بعثت بها إليك لتستمتع بها» يعني يبيعها.

وفي ذلك من فقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن التجارة فيما يكره للرجال أو للنساء أو لكليهما جائزة إذا كانت فيه منفعة، أما ما لا منفعة فيه شرعية فلا يجوز بيعه ولا شراؤه، وفي حديثنا حديث عائشة يستنبط هذا الحكم كما قال الحافظ في الفتح من أن النبي ﷺ لم يفسخ البيع في النمرقة، قال: وسيأتي في بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ توكأ عليها بعد ذلك.

نسأل الله أن يبصرنا بالحق وأن يعلمنا من سنة نبينا وأحكام ديننا ما جهلنا وأن يعيننا ويوفقنا للعمل بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وآله وصحبه أجمعين.

باب: منبر الحرمين

حاجة الأمة إلى الوحدة والتواصي بالحق

لفضيلة الشيخ / عبد الرحمن السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام

■■ الحمدُ لله الواحدِ الخلاّق، أمرَنا بالتّآلفِ والوفاق، ونَهانا عن سُبُل التفرّق والشّقاق، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تملأُ النفوسَ مِن الخَشيةِ والإشفاق، وأصلّي وأسلّم على نبيّنا محمّد بن عبد الله صلاةً وسلامًا تامّين كاملين ما تعاقب أُفول وإشراق، وعلى آله وصحبِه أئمّة الهدَى باتّفاق، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم التّلاق.

أمّا بعد: فأوصيكم – عبادَ الله – ونفسي بتقوَى اللهِ عزّ وجلّ، فإنّ التّقوَى هي الحَبلُ الأقوَى للفوزِ بجنّة المأوَى، تربِط على القلوب ساعةَ الفتَن، وتُنير الدروبَ أوقاتَ الأزَمات والمِحَن. مَن غمرتِ التّقوى قلبَه سلِمت طويّتُه من الضّغَن، وهُدِي إلى خيرِ سبيلٍ وأقوَمِ سَنَن. ■■

موقع منبر الحرمين على الإنترنت
WWW.alminbar.net

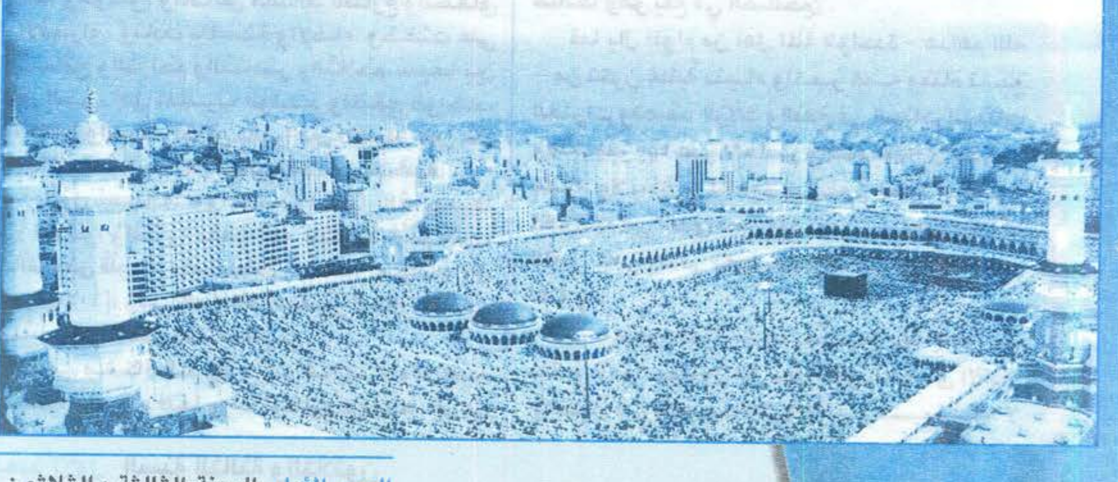

أيّها المسلمون، لا يجد النّاظر في تاريخ أمّتنا عناءً في الوقوفِ على تميُّز حضارتها وتحقُّق قيادتها وسيادتها وريادتها على العالَم بأسره ردحًا من الدّهر وأحقابًا من الزمان، ومردُّ تلك الغَلَبة وهذا العلوّ إلى الاعتصام بالوحيَين الشّريفَين ولزوم قاعدةِ الوَحدة والائتلاف ونَبذ الفُرقة والاختلاف، تحقيقًا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

كما لا يلقَى المتأمّل في وضعها الراهِن عَناء في القول: إنّ أمّتَنا أظلّها زمان حالكٌ بالغوائل والملِمّات، تتناوشها نِصال أعداءٍ ألِدّاء، وترمُقُها مُقَلٌ حاسِدة وأحداق حاقِدة أضمَرَت الكيدَ والعداء، مع ما تعانيه من شتاتٍ ذاتيّ ونفورٍ داخليّ وصراعٍ بينيّ وفهم آحاديّ لكثير من القضايا وطُفُوٍّ أفكارٍ منحَرِفة هدّامة وظهور فِئام مرقت عن صفِّ الملّة والجماعة، فلم يزد ذلك في جسَد الأمّة إلاّ أوصابًا وتَفريقًا وجروحًا وتمزيقًا.

ولله سبحانه في ذلك كلّه الحكمة البالغةُ كما قال سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥] .وكم للمِحن والأزمات من شأنٍ عريض في صقل الأمَم ورُقيِّها، ولكن كلّ يوم يمضي من حياةِ الأمّة لا تشخِّص فيه عِلَلَها ولا تأخُذ فيه بأسباب النهوض من كبوتها ليؤخِّرها أمدًا بعيدًا ويزيدُ من تمكُّن اليأس والقنوط لدى كثير من الشرائح والأوساط في جَدوَى تماثُلِها للشّفاء واستئنافِ تسنُّمها لذُرَى العلياء.

أمّة الإسلام، وتلك وقفة تذكير لتثبيتِ أهمِّ المعالم على جَنَبات طريقِ النّهضة الواعية التي ينبغي أن ينتهجَها أهلُ الحقِّ، بيانًا للآسي وتذكرةً للنّاسي وتعليمًا للجاهل وتنبيهًا للذّاهل وإسهامًا في لمِّ الشتاتِ وذمّ الفُرقة والانبتات.

إخوةَ الإيمان، إنّ شريعتَنا الغرّاءَ قصَدت إلى الألفةِ والوفاق، ونأت عن مسالكِ التّنازع والشّقاق والافتراق، ونادَت بالمحبّة والإخاء، وحَضّت على التّسامُح والتّراحُم والتّناصُر والتّلاحُم، سيما بين أهلِ الحقّ، أهل المشرَب الواحد والمنهَج الواحد، والكتابُ والسنّة زاخران بالبراهين المشرقةِ على تلك الصفاتِ المتوهّجة بكلّ معاني الغاياتِ السامية.

يقول سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وفي ذلك امتنانٌ بتغيير الحالِ المتشتّت الشّنيع إلى الحالِ المنتَظم البَديع.

ومِن مشكاةِ النبوّة وإشراقاتها قولُه عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاريّ ومسلم: «إنّ مِن أحبِّكم إليّ وأقربِكم منّي مجلسًا يومَ القيامة أحاسِنَكم أخلاقًا، الموطّئون أكنافًا، الذين يألفون ويُؤلفون».

أمّة القرآن والسنّة، مَن كتمَ داءَه أسهَده وأضناه وأضجَره وعنّاه، وإنّ من الأدواء التي ينبغي أن تُشخَّصَ في عُنفوان الأسَى واللّوعةِ ما هو كائنٌ مِن وَحشة وتنافُر وجفاءٍ وتدابُر بلغ حدَّ التجريح والتّحذير والتسفيهِ والتّشهير مِن قِبَل أهل الملّةَ بَعضهم بعضًا، ممّن سلكَ سبيلَ الحقّ عقيدةً وعبادة وسلوكًا، وممّن ينتسِبون إلى الخيرِ والدّعوة والغيرةِ على الحُرُمات، الحريصين على سلامةِ الأمّة من التعثُّر والانزلاق، الوَجِلين على وَحدة الصفّ من التصدُّع والانشقاق.

وإنّ مِن المصائبِ الفادِحَة أن يتطاولَ بعض أهل الملّة الواحدةِ على مقاماتِ إخوانِهم مِن العلماءِ الأجِلاّء والدّعاة النُّبلاء، حطًّا مِن أقدارهم ووقيعةً في أعراضِهم وإيضاعًا خِلالَهم ونزعًا للثقة والمرجعيّة منهم.

وإنّ الرّزيّة لتعظُم حين يكون ذلك على قصدِ الازدِراء والتّعيير والثّلب والتّشهير عبرَ قنواتٍ سيّارة من صُحفٍ ومجلات وفضائيّات وشبكاتِ معلومات، يقول ﷺ محذِّرًا ومتوعِّدًا: «يا معشرَ مَن آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمان قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عَوراتِهم، فإنّه من تتبّع عوراتِهم تتبّع الله عورتَه، ومن تتبّع الله عورتَه فضحه ولَو في جوفِ بيتِه» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذيّ، وقال الإمام أحمد رحمه الله: "الوقيعةُ في أهلِ العِلم – ولا سيّما أكابرهم – مِن كبائرِ الذنوب"، وقال مالك بن دينار: "كفى بالمرءِ شرًّا أن لا يكونَ صالحًا وهو يقَع في الصالحين".

فما بال أقوامٍ مِن أهلِ الملّة الواحِدة – هداهم الله – من تكون غايةُ دنياه وأكبرُ همِّه ومُناه تتبّعَ العثراتِ وتصيُّدَ الزّلاّت والنّفخَ في الهنَاتِ الهيِّنات والتشهيرَ بها عبرَ المجالس والمنتديات؟! لا يفتؤون همزًا، ولا ينفكّون لمزًا، ولا يبرحونَ غمزًا. يطعَنون إخوانَهم في الخواصرِ، ويصوِّبونَ سهامَهم تلقاءَ القفى. إذا رَأوك في نعمةٍ حسَدوك، وإن تواريتَ عنهم اغتابوك.

إن يسمَعوا هَفوةً طاروا بها فرحًا وما علِموا مِن صالح كتَموا، يعمَلون ليلَ نهارَ على الحطّ من الأقدار والنيلِ من الكفاءات والأصفياء. لا

يلتمسون المعاذير، ويسعون لإسقاط أهل الفضل والمشاهير، يبثون عنهم الشائعات، ويختلقون ضدهم الوشايات، زاعمين بيانَ الحقِّ والإصلاح، والواقعُ أنهم مثلُ الذباب يراعي موضعَ العِلَل.

وعلى إثر تلك الأوهام والهفوات التي تقبل التأويل والاغتفار في غزير الحسنات يكون الولاء والبراء والهجرُ والجفاء والودُّ والعداء، عبرَ التصنيف والتعصُّب والتحيُّز والتحزُّب.

ويُشغَل بذلك طلبةُ العلم المبتدئون والمثقفون والمصلحون بلهَ العوامَ، ويتلقفُها في كلِّ الأصقاع الشانئون والمغرضون، وتهدر ملكاتٌ وأوقات بين رادٍّ ومردودٍ عليه، وتُعقد المجالس فريًا في الأعراض بكلماتٍ جارحة وعباراتٍ مسفَّة قاسيةٍ وقذائفَ كأنها شواظٌ من نار، تشي بسوءِ الدَّخلة والمآرب، ضاربةً بعفة اللسان نزاهةَ النفس كلَّ مضرَب، كان الأولى فيها صرفها شطرَ الفِرَقِ المنحرفة المناوئة لأهل الإسلام الساعيةِ في تقويضِ أمنها وخلخلة صفِّها، وإنِّي أعيذ الأصفياءَ وطلابَ الخير وشداته أن يتشبَّهوا بصفةِ فرقةٍ ضالَّة حذرنا منها المعصومُ فيما أخرَجَه أحمد والشيخان: «قومٌ يقرؤون القرآنَ، لا يجاوز حناجرَهم، يمرقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرميَّة، يقتلونَ أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان».

ومن الومضات اللطيفة للقاضي إياس بن معاوية الذي صار مثلاً في الفطنة والذكاء ما أورده الحافظ ابن كثير رحمه الله عن سفيان بن حسين قال: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عندَ إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزوتَ الرومَ؟! قلت: لا، قال: السِّندَ والهند والترك؟! قلتُ: لا، قال: أفسَلِم منكَ الرومُ والسِّند والهندُ والترك ولم يسلَم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعُد بعدها أبدًا. وقال ابن سيرين رحمه الله: "ظلمُك لأخيكَ أن تذكرَ منه أسوأَ ما تعلَم وتكتُمَ خيرَه". وقال ابن المبارَك: "المؤمن يلتمِس المعاذيرَ، والمنافِق يتتبَّع الزلَّات". وقال آخر: "المسلم يستُر وينصَح، والمنافِق يهتِك ويفضَح". هذا في حقِّ آحادِ المسلمين وعوامِّهم، فكيفَ إذا كان من أنصار السنة ودعاتها أهل العلم والفضل والخير والسَّبق والدعوةِ وقضى سَحابةَ عمره عالمًا محققًا أو داعيًا متألِّقًا أو كان من ذوي الهيئات والمروآت؟! فإنَّ إمساكَ اللسان عنهم وصونَهم عن الرشَق والتوهين آكدُ وأوجب، وفي سَتر الزلَّة وسدِّ البادرةِ والخلَّة ما ورَد عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (لا تَظننَّ بكلمةٍ صدرَت من أخيكَ سوءًا وأنتَ تجد لها في الخير محمَلاً). وعن سعيد بن المسيِّب رحمه الله قال: "ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلاَّ وفيه عَيب، ولكن مَن كان فضلُه أكثرَ من نقصه ذهبَ نقصُه لفضلِه".

ومن الكلام الذهبيِّ للإمام الذهبيِّ في ترجمة الحافظ محمد بن نصر قوله رحمه الله: "ولو أنا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له قمنا عليه وبدَّعناه وهجَرناه لما سلِم معنا ابن نصر ولا ابن مَنده، ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخَلق إلى الحقِّ، وهو أرحمُ الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة".

وهُنا صرخةُ تحذيرٍ وتنبيهٍ وتنذيرٍ لأهل الإسلام أن كفانا جفاءً واختلافًا، وحيَّهلاً اعتصامًا وتجرُّدًا وائتلافًا، ماذا دَهَانا؟! عجيبٌ أمرُنا ذا الزَّمانا.

مرادُ النفوس أعلى من أن نتعادى فيه أو نتفانى لوسائلِ الإعلام المؤتمَنة على الأفكار والأقلام أن تتَّقيَ الله في صدقِ الكلمة وانتقاء النشر وعُمق الطرح، فليس كلُّ مَن خطَّ سوادًا في بياض نُشر له، فوضَعَ وخبَّ في أعراض الفضلاء والعُلماء والنُّبلاء، وليس هو من طرازهم ولا من علمهم في قبيل ولا دبير، حتَّى غدا الثلب والسَّلب مَركبًا وطيئًا وسابلةً لمن تعرف وتُنكر.

ألا كلاَّ ثمَّ كلاَّ للتعقُّبات والردودِ الرعناء التي تثيرُ كوامنَ النفوس والشحناء، وتوري زنادَ الكوامنِ والبغضاء، ورحِم الله امرأً عرَف قدرَ العلماءِ وقدرَ نفسه، وتابَ ممَّا خطَّته يده في طرسِه، وليَكِل شأنَ النقد والتقويم إلى مَن رسَخت في العلم أقدامُهم، وأتقَنوا ضوابطَ النقد والحوار، وقاموا على آداب الخلاف وقواعدِه خيرَ قيام، وهل يملك ميزانَ الاعتدالِ في نقدِ المنهَج والرِّجال إلاَّ العلماء الأفذاذُ الذين تُناخُ بعلمِهم الرحال وتُحدى بهم المطايا والآمال؟! يقول الإمام الذهبيّ: "الكلامُ في العلماء مفتقِر إلى العدل والورَع"، ألا ما أحوجَه في زمنِنا هذا إلى لجانٍ متخصِّصةٍ وهيئاتٍ عاليَة.

المسلم يستــر وينصح والمنافق يهتك ويفـضح هذا في حق آحاد المسلمين فكيف إذا كان من أنصار السنة ودعـاتها.

أيها المسلمون، إنَّ الساحة العلميَّة والحلائبَ الدعويَّة والمجالسَ والمنتدياتِ المعرفيَّة والحواريَّة ووَحدةَ الأمة المفكَّكة لا يزالان في ظمَأ هائل لترسيخ حقائقِ التآخي الوريف والتناصُح الشفيف المرتكزَين على الصِّدقِ والإنصافِ والتواضُعِ والحِرص على إظهار الحقِّ دونَ زُخرفٍ في القول مموَّه، أو باطنٍ بالحسَد مشوَّه، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

ومن الروائع الكثيرةِ في أدب أسلافنا عندَ

الاختلاف وحفاظهم على المودّة والصفاء والإذعان للحقّ حيث استبانَ ما أورده الذهبيّ عن الحافظ أبي موسى الصَّدَفي أنّه قال: ما رأيتُ أعقلَ من الشافعيّ، ناظرتُه يومًا في مسألةٍ ثمّ افترقنا، ولقيَني فأخذَ بيدي – تأمّلوا يا رَعاكم الله، ألا ما أزكاه من أدب – ثمّ قال: يا أبَا موسى، ألا يستقيمُ أن نكونَ إخوانًا وإن لم نتّفِق في مسألة؟!، علّق الذهبيّ قائلاً: "هذا يدلّ على كمالِ عَقلِ هذا الإمام وفقهِ نفسِه، فما زال النُّظراء يختلفون" انتهى كلامه رحمه الله.

ألا ما أحوجَنا إلى مثلِ هذه الأفهام والعقول، وذاك السَّمت والهَدي، وتلك المنهجيَّة والإصابة، لا كثرة الهَذر والاسترسالِ في الطّعون، وليسَ العهد ببعيدٍ عن سيرةِ أئمّتنا وعلمائنا، رحمَ الله أمواتَهم ووفّق أحياءَهم.

فيا أهلَ السنّة الميامين، حنانَيكم ببعضكم حنانَيكم، ولُطفًا لطفًا بإخوانكم، ورفقًا رفقًا بالعلماءِ والدّعاة وأهلِ الخيرِ والصّلاح والإصلاح، والقصدَ القصدَ تبلغُوا، فإنّ المنبتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظَهرًا أبقى. ورحمِ الله امرأ أنصَف من نفسِه فبادر باتّهامها، وأنصف إخوانَه فحفِظ ودَّهم، وأحبَّ الخيرَ والإصابةَ لَهم، ولم يُعِن الشيطانَ عليهم.

إنّ مِن النّبلِ والشّجاعة مواجهة إخوانِك بأخطائِهم إن حَصلَت، وإنّ من اللّؤم والخِسّة والدّناءة الطّعونَ الخلفيّة وبثّ الكوامن النفسيّة وتغليبَ النظراتِ الحزبيّة والاحتكامَ إليها في تقويم أهل الفضل، فلا يعرِف الفضلَ لأهلِ الفضلِ إلاّ ذووه، وليكُن ملءَ دواخِلِكم وشغلَ جوارِحكم قولُ الحقّ سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

وحيّهلاً بالنّقدِ العلميّ البنّاء والحوار المؤصّل النّزيه، ولكن مِن المؤهّلين والأكفاء، حوارٌ هادف ونصح بنّاء، تحفّه مشاعِر الودّ وترفُّه نسائمُ الإنصاف، قد خليَ من الهوَى والعصبيّة، وعَريَ عن التّصنيف والحزبيّة، وساعتئذ ستكتالُ لكم أمّتُكم جزيلَ الدعاءِ والثّناء، والله وحدَه المستعان، وهو القائل سبحانه: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد:١٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنّة، ونفعني بما فيهما من الآياتِ والحكمة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيمَ الجليل لي ولكم ولوالديَّ ووالديكم ولجميع المسلمين والمسلمات، من جميع الذنوب والخطيئات، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنّه هو التوّاب الرحيم.

فاتّقوا اللهَ عبادَ الله، وليكُن منكم بحسبانٍ لا يَريب أنّ أمّتَكم الإسلاميّة لفي أشدّ ما تكون حاجةً إلى التّواصي بالحقّ والتجرُّد والتّوافُر على الكلمةِ الطيّبة البنّاءة التي تشعّ منها الخشيَة والتقوَى وإحسانُ الظنّ بالبُرآء الأتقياء والالتفاف حولَ الولاةِ والعلماء وتأكيدُ المواثيق والعُرى في عَميق مصداقيّتهم ومكينِ مرجعيّتهم، مع الترصُّد صفًا واحدًا كالبنيَان المرصوص ضدَّ التيّارات الجارفة والأفكار المسمومة القاتِلة التي لا تَزال عقابيلها تؤرِّق النفوسَ وتزعزِع أمنَ المجتمع.

وإنّ من العارِ والحَماقة أن ينشغِلَ الأخ بأخيه والعدوّ يتفرّج من حولِهم، وليس هذا – وايم الله – لخَطَأ إقرارًا أو على باطلٍ إصرارًا، ولكنّه عين الحكمَة وتحقيقِ المصالح للأمّة ودرءِ المفاسد عنها.

أيّها الأحبّة في الله، علينا جميعًا أن نتنادى – الدعاةُ والعلماء، أهلُ الحِسبة والأدباء، أربابُ الفِكر والأقلام والثقافة والإعلام – إلى الشّعور بروح الجَسَد الواحد الذي إن اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجَسَد بالسّهر والحمّى، حمايةً لسفينةِ المجتمع من الإغراق بأيدي أقوام سفهت أحلامُهم وارتَكَسَت في حَمأة التّبديع التّفسيق والتّكفيرِ أقدامُهم، بل تعدّى الأمر إلى حَمل السّلاح والتّفجير وسَفك الدّماء والتّدمير، فسفينةُ الأمّة كلّها لا ترسو إلاّ على جوديِّ الأمنِ والإيمان في منأى عن مِطرقة الجَهل وسِندان الهَوى.

فيا ساهيًا قد غرّه الجهلُ والهوى
صريعَ الأماني عمّا قريبٍ ستندَمُ
أفِق قبلَ أن يأتيَ اليوم الذي ليسَ
بعده سِوى جنّةٍ أو حرّ نارٍ تضرَمُ

وهيهاتَ أن تجنيَ بعض الأقلام ثَمَرًا يانعًا في علقم النّيلِ مِن ثوابتِ الأمّة أو التمرّغ في [أوحال] الوقيعةِ برُموزها تحتَ أيّ دعوًى عريضة.

عبادَ الله، الدّعوةُ موجّهة من منبر المسجدِ الحرام حِفاظًا على الأمّة وأمنِ المجتمع إلى الفارّين مِن وجهِ العدالةِ والمطلوبين أمنيًا أن يبادروا إلى تسليم أنفسِهم ليحكمَ فيهم شرعُ الله المطهَّر وحكمُه العادل، وفي ذلك تحقيقُ الخير لهم ولأُسَرهم ومجتمَعهم وبلادهم في العاجلِ والآجل، وأيّما مسلم في كلّ مكان تلقّى ما أنيط به من أمانةٍ ومسؤوليّة بعزم وصدق وبصيرةٍ نافذة فلن تعجزَه الأوهامُ عن الوصول إلى الحقّ والحقيقة، ولن يثنيَه الديجور عن مواصلةِ طريقِ التقدّم والعبور، والله مِن وراء القصد، وهو الهادي إلى سواءِ السّبيل.

والحمد لله رب العالمين

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

١ـ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

٢ ـ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». [متفق عليه من حديث أنس].

٣ ـ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». [متفق عليه من حديث أنس].

٤ ـ «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

٥ ـ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». [متفق عليه من حديث ابن مسعود].

٦ ـ «من حمل علينا السلاح فليس منا». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

٧ ـ «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». [متفق عليه من حديث ابن مسعود].

٨ ـ «لا يدخل الجنة قتّات» [متفق عليه من حديث حذيفة].

٩ ـ «من قُتِل دون ماله فهو شهيد». [متفق عليه من حديث ابن عمرو].

١٠ ـ «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

١١ ـ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

١٢ ـ «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد(٢)، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

١٣ ـ «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله(٣) وطهوره وفي شأنه كله». [متفق عليه من حديث عائشة].

١٤ ـ «سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة». [متفق عليه من حديث أنس].

١٥ ـ «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتر أهله وماله». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

١٦ ـ «من صلى البردين(٤) دخل الجنة». [متفق عليه من حديث أبي موسى].

١٧ ـ «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس». [متفق عليه من حديث أبي قتادة].

١٨ ـ «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

١٩ ـ «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

٢٠ ـ «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت». [متفق عليه من حديث أبي موسى].

٢١ ـ «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيا(٥) من الإبل في عُقُلها». [متفق عليه من حديث أبي موسى].

٢٢ ـ «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه». [متفق عليه من حديث أبي مسعود البدري].

٢٣ ـ «لا تَحرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

٢٤ ـ «ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

٢٥ ـ «مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين». [متفق عليه من حديث ابن عباس].

٢٦ ـ «إن لكل أمة أمينًا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح». [متفق عليه من حديث أنس].

٢٧ ـ «الظلم ظلمات يوم القيامة». [متفق عليه من حديث ابن عمر].

٢٨ ـ «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك أصابعه». [متفق عليه من حديث أبي موسى].

٢٩ ـ «من سرّه أن يُبسط له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصل رَحِمه». [متفق عليه من حديث أنس].

٣٠ ـ «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدكم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟». [متفق عليه من حديث أبي بكر].

والحمد لله رب العالمين

---

(١) قتّات: نمّام (٢) الاستحداد: حلق العانة

(٣) ترجُّله: تسريح شعره ولحيته (٤) البردان: الفجر والعصر (٥) تفصّياً: تفلتاً

حديث الشهر

من رحمة الله بهذه الأمة أن بعث فيها نبي الهدى والرحمة ﷺ كي يخرجها من ظلمات الجهل والشرك والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والتوحيد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

وقد بلّغ ﷺ ما أنزله عليه ربه أتم تبليغ، وربىّ وعلّم وجاهد في سبيل ذلك حتى أتاه اليقين صلوات الله وسلامه عليه.

نماذج من هدي

وقد أمرنا ربنا أن نقتدي به ونستن بهديه وسنته، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

ومساهمة مني في الإشارة إلى هديه وسنته ﷺ في التربية والتعليم كتبت هذه النماذج باعتباره ﷺ المعلم الأول لهذه الأمة.

النموذج الأول: التعجيل بالبشرى للمتعلم

قد تدعو الحاجة إلى أن يبشر المربِّي المتربي بأمر يعود عليه بالنفع والخير، وذلك شحذاً للهمم، ودعوة إلى تحمل المشاق التي تعترضه في طريقه.

فقد روى البخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : بينما أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه رجل فشكا إليه قطع السبيل، فقال لعدي: «هل رأيت الحيرة؟» قلت : لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة- المرأة في الهودج- ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلى الله». قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعّارطيء الذين قد سعّروا البلاد؟» ولئن طالت بك حياه لتفتحنّ كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك الحياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه». الحديث، وفيه قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، قال: ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ.

النموذج الثاني: استفتاح الكلام بما سيق له مما يهيئ السامع للاستجابة والقبول

مثاله : حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا به إلى القبر ولمّا يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة. الحديث.

وفي هذا الحديث مواقف تربوية هادفة:

- منها : بيان كيفية التأدب والجلوس عند المعلم.
- ومنها : أن نكت الأرض بعود أو نحوه عند التفكر ليس من العبث، لأنه قد يكون أدعى إلى جمع القلب على التفكر.
- ومنها : أن من تمام حسن الكلام ابتداءه بما يشعر به سياق الحديث ، وأن قوله ﷺ : «استعيذوا بالله من عذاب القبر» يشعر بما يأتي بعده من كلام مما يتعلق بعذاب القبر فيكمل الإصغاء إلى الحديث.

الرسول ﷺ في التربية

بقلم د. عبد الله شاكر

النموذج الثالث: الرفق في القول والعمل:

من هديه ﷺ في التربية الرفق واللين في مخاطبة من يعلّمهم ويدعوهم، وقد قال الله له: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد استجاب صلوات الله وسلامه عليه لأمر ربه ، فكان المثل الأعلى في الرفق واللين – كما هو شأنه في الصفات الطيبة الحميدة التي ربّاه ربّه عليها، فقد روى البخاري بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السّام عليكم . قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السّام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

وعن عائشة عند مسلم : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه». والمعنى أنه يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده وهو العنف، وفي حديث جرير: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

النموذج الرابع: بث روح المسئولية والشورى

أمر الله نبيه ﷺ بالشورى، وأصبحت بذلك مبدأ من مبادئ العمل الجماعي الإسلامي وهي تحقق المشاركة بين الحاكم والرعية في اتخاذ القرار ، وبذلك تتوزع المسئولية بين الراعي والرعية، كما أنها خير وسيلة للكشف عن الكفاءات والقدرات لدى الأفراد، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد طبقها ﷺ في مجتمعه بين أصحابه ورباهم عليها ، وفي السيرة النبوية الشريفة نماذج متعددة للشورى . منها: ما حصل في غزوة بدر لما نزل رسول الله ﷺ عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، وقال : يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه وأن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ماء وراءه– أي نخرب – فنهض رسول الله ﷺ بالناس، حتى أتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه.

وفي غزوة أحد عقد النبي ﷺ مجلسًا استشاريًا مع أصحابه لما علم بوصول جيش المشركين إلى مشارف المدينة، وأخذ برأي مجموعة من الشباب المتحمسين وخرج إلى أعدائه عند أحد، وهكذا كانت حياته ﷺ بين أصحابه تربية وإعدادًا وتعليمًا، والنماذج في هذا الجانب كثيرة، أكتفى هنا بما ذكرت منها.

والحمد لله رب العالمين.

اتبعوا ولا تبتدعوا

الحلقة السادسة

هل في الإسلام بدعة حسنة؟

إعداد
معاوية محمد هيكل

أشرنا في المقال السابق إلى بطلان استدلال المبتدعة بحديث « من سن في الإسلام سنة حسنة » على تحسين بدعهم، وفي هذا المقال نفند بطلان استدلالهم بالحديث الثاني في مقام الاحتجاج ، وهو استدلالهم بقول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه»، وأن عمر قد سمى جمع الناس على قيام رمضان بدعة واستحسنها.

وقبل مناقشة هذا الدليل نسوقه بنصه أولا:

فقد روى البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجلُ لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبَيّ بن كعب ثم خرجتُ معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.

نقول: وليس في هذا الحديث دليل على ما ذهبوا إليه من وجود البدعة الحسنة شرعًا، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن فعل عمر رضي الله عنه، حينما جمع الناس في التراويح على إمام واحد مأخوذٌ من فعله ﷺ، كما روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها أخبرت: أن رسول الله ﷺ خرج ليلةً من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم، فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كان الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف عليَّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك. [البخاري ٢ / ٢٥٢].

ففي هذا الحديث النص الصريح على أن الناس اجتمعوا على إمام واحد في عهده ﷺ، وبفعله عليه الصلاة والسلام، وأنه إنما ترك ذلك رأفة بأمته، وخشيةً منه عليه السلام أن تفرض عليهم، وقد ذكر هذا المعنى الحافظ في الفتح نقلاً عن بعض العلماء عند شرحه

لقول عمر رضي الله عنه عندما رأى الناس يصلون أوزاعًا قال: «لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل».

قال: استنبط عمر ذلك من تقرير النبي ﷺ من صلى معه في تلك الليالي، وإن كان كره ذلك لهم فإنما كرهه خشية أن يُفرض عليهم إلى أن قال ناقلاً عن غيره قيام رمضان سنة؛ لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي ﷺ، وإنما تركه النبي ﷺ خشية الافتراض. [فتح الباري ٤ / ٢٥٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على الذين يحتجون بقول عمر: «نعمت البدعة» على حسن بعض البدع:

«أما قيام رمضان فإن رسول الله ﷺ سنه لأمته، وصلى بهم جماعة عدة ليالٍ، وكانوا على عهده يصلون جماعة وفرادى، لكن لم يداوموا على جماعة واحدة؛ لئلا تفرض عليهم، فلما مات النبي ﷺ استقرت الشريعة، فلما كان عمر رضي الله عنه، جمعهم على إمام واحد، وهو أُبي بن كعب الذي جمع الناس عليها بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه هو من الخلفاء الراشدين، حيث يقول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء: فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة بل سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله في الجماعة، إلى أن قال: ولا صلاتها جماعة بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاها رسول الله ﷺ في الجماعة أول شهر رمضان ليلتين بل ثلاثًا، وصلاها أيضًا في العشر الأواخر في جماعة مرات، إلى أن قال: وكان الناس يصلونها جماعات في المسجد على عهده ﷺ وهو يُقرهم، وإقراره سنة منه ﷺ.

وبمثل قول شيخ الإسلام هذا، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله والشاطبي في الاعتصام.

الوجه الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» ينصرف إلى البدعة اللغوية لا الشرعية، وذلك لأمور:

الأول: أن صلاة التراويح جماعة قد ثبت فعلها جماعة على إمام واحد في عهده ﷺ، فلا يمكن أن يسمى عمر هذه السنة الثابتة بدعة إلا من باب اللغة.

الثاني: أن صرف قول عمر إلى البدعة اللغوية، فهل يُعقل أن يرضى عمر بالبدعة في دين الله وقد تلقى مع غيره من الصحابة قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» مع ما عرف عنه رضي الله عنه من حرص على اتباع السنة ومحاربة البدعة، بل وقطع كل ذريعة تؤدي إلى البدعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:... أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فُعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي، إلى أن قال: ثم ذلك العمل الذي دل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمّي في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في

•• الجماعة في قيام رمضان سنة وليست بدعة، وإنما سماها عمر رضي الله عنه بذلك إرادة منه للمفهوم اللغوي لا الشرعي ••

•• فعل عمر رضي الله عنه محل اقتداء لكونه من الخلفاء الراشدين لقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..». ••

الشريعة، وقد عُلم أن قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» لم يرد به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام، بل كل دين جاء به الرسل فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتُدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ.

وقال رحمه الله: وكل ما لم يُشرع من الدين فهو ضلالة، وما سُمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن يقال ليس ببدعة في الدين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة كما قال: «نعمت البدعة هذه».

وقال في موضع آخر: «ولا يحتج مُحتجّ بجمع التراويح ويقول: «نعمت البدعة هذه» فإنها بدعة في اللغة».

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم: «فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة، وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لمّا جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه».

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: والبدعة على قسمين: تارة تكون بدعة شرعية، كقوله: «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، وتارة تكون بدعة لغوية، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إيّاهم على صلاة التراويح واستمرارهم «نعمت البدعة هذه».

وتحدث الشاطبي معبرًا عن ما يشبه هذه المعاني في معرض رده على المستحسن للبدع، والمستدل عليها بقول عمر رضي الله عنه فقال: «... وإنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله ﷺ واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه ؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه...». [الاعتصام ١ / ١٩٥].

الوجه الثالث: لو افتُرض أن هذا الفعل من عمر رضي الله عنه ليس له دليل من السنة ولا يصح صرف معنى قوله: «نعمت البدعة» إلى المعنى اللغوي، فإن فعله رضي الله عنه محل اقتداء لكونه من الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي ﷺ بالتزام سنتهم حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».

وإلى هذا المعنى أشار ابن رجب رحمه الله عند كلامه عن معنى قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه»، حيث بيّن أن هذا العمل له أصل في الشريعة، ثم ذكر أدلة المشروعية فقال: «ومنها أنه ﷺ أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين، فإن الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم».

وأشار لهذا المعنى أيضًا شيخ الإسلام فقال: «فلما كان عمر رضي الله عنه جمعهم على إمام واحد، والذي جمّعهم أبيّ بن كعب جمع الناس عليها بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر هو من الخلفاء الراشدين حيث يقول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».

وعلى ذلك فالجماعة في قيام رمضان سنة وليست بدعة، وإنما سماها عمر رضي الله عنه بذلك إرادة منه للمفهوم اللغوي، لا الشرعي، ولأن رسول الله ﷺ قد تركها لمانع- وهو خوف الافتراض- قد زال بوفاته ﷺ.

وبذلك يسقط استدلال المبتدعة بهذا الحديث على تحسين بدعهم، ولله الحمد والمنة.

نظرات على الطلاق في الحيض

الحلقة الثانية

بقلم: متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

في الحلقة السابقة استعرضنا أدلة المجوِّزين لوقوع الطلاق في الحيض وأدلة المانعين على سبيل الإحصاء فقط، وفي هذه الحلقة ننظر إلى هذه الأدلة بشيء من التفصيل والتوجيه:

أولاً: أدلة المجوزين للطلاق في الحيض وهم الجمهور

١- قول النبي ﷺ في الحديث: «مره فليراجعها»، والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق.

اعترض المخالفون على هذا الدليل، كما قال ابن القيم في زاد المعاد، بأن المراجعة لها معان كثيرة غير الإمساك، منها:

أ- ابتداء النكاح، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والمطلق هنا هو الزوج الثاني، وأن التراجع بينها وبين الزوج الأول، وذلك نكاح مبتدأ.

ب- الرد الحسي إلى الحالة التي كان عليها أولاً، فالأمر بالارتجاع هو رد لحالة الاجتماع التي كانت قبل الطلاق.

وأيضًا حمل المخالفون المراجعة على معناها اللغوي كابن حزم وغيره، وتُعقبَ بأن الحمل على الحقيقة الشرعية مقدم على اللغوية اتفاقًا. [فتح الباري].

قال ابن تيمية: قول النبي ﷺ لابن عمر: «مره فليراجعها» مما تنازع العلماء فيه في مراد النبي ﷺ، ففهم طائفة من العلماء أن الطلاق قد لزمه، فأمره أن يرتجعها ثم يطلقها في الطهر إن شاء.

وفهم طائفة أخرى، أن الطلاق لم يقع، ولكنه لما فارقها ببدنه كما جرت العادة من الرجل إذا طلق امرأته اعتزلها ببدنه واعتزلته ببدنها، فقال لعمر: مُرْهُ فليراجعها، ولم يقل: فليرتجعها، والمراجعة مفاعلة من الجانبين، أي ترجع إليه ببدنها فيجتمعان كما كانا.

وقال هؤلاء: لو كان الطلاق قد لزم لم يكن في الأمر بالرجعة ليطلقها ثانية فائدة، بل فيه مضرة عليها، وقالوا لأنه لم يأمر ابن عمر بالإشهاد على الرجعة كما أمر الله ورسوله، ولو كان الطلاق قد وقع وهو يرتجعها لأمر بالاستشهاد.

فائدة

الإشهاد على الرجعة، اختلف العلماء في حكمه، بين الوجوب والاستحباب، فقد ذهب الشافعي في أحد قوليه وفي رواية عن أحمد أنها واجبة.

وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه، والرواية الثانية عن أحمد أنها لا تجب.

والزوج يملك حق الرجعة لزوجته في الطلاق الرجعي وذلك بإجماع العلماء لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ومن غير رضاها، والرجعة لا تحتاج إلى ولي ولا صداق (مهر) بإجماع أهل العلم.

يقول ابن تيمية: ولأن الله تعالى لما ذكر الطلاق في غير آية لم يأمر أحدًا بالرجعة عقيب الطلاق، بل قال: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، ثم رجح ابن تيمية قول من قال بعدم وقوع الطلاق في الحيض. [الفتاوى (ج٢٢) بتصرف]

٢- تصريح ابن عمر لسعيد بن جبير: حُسِبَتْ عليَّ تطليقة:

وهذا نصٌ صريح من ابن عمر غير قابل للتاويل، فالنظر إليه يكون من جهتين:

الجهة الأولى: هل هو صحيح؟

الجهة الثانية: على من يعود الفعل المبني للمجهول في قول ابن عمر حُسبت.

من ناحية الجهة الأولى، هذا الخبر أخرجه الإمام البخاري في الصحيح «باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق» (حديث ٥٢٥٣) قال: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: حُسِبَتْ عليَّ بتطليقة.

ويكفي أن البخاري أخرجه في الصحيح هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى رجال السند لوجدناهم جميعًا في أعلى درجات التوثيق.

أبو معمر: إسماعيل بن إبراهيم بن معمر: ثقة مأمون.

عبد الوارث: عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان: ثقة ثبت.

أيوب: أيوب السختياني: ثقة ثبت حجَّة.

سعيد بن جبير: ثقة ثبت فقيه.

وليس في السند إلا عنعنة أيوب، وقد أورده الحافظ ابن حجر في الطبقة الأولى من المدلسين، وهي الطبقة التي لا توصف بالتدليس إلا نادرًا جدًا بحيث أنه ينبغي أن لا يعدّ في المدلسين وأحاديثه عن أنس بالعنعنة (فقد رآه ولم يسمع منه) من المرسل الخفي.

وسعيد بن جبير ليس راويًا فقط ولكنه فقيه، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير.

وابن القيم يقول: أن سعيدًا تفرد بهذه الرواية.

قلت: لا مغمز في تفرده مع ضبطه وفقهه وعدم مخالفته للروايات الأخرى التي وردت عن ابن عمر إلا رواية أبي الزبير (التي سنأتي إليها إن شاء الله)، فكما نرى أنه من الجهة الأولى لا مجال لرد الحديث.

ومن ناحية الجهة الثانية: وهي على من يعود الضمير في الفعل المبني للمجهول؟

يقول ابن القيم: أن من حسبها على ابن عمر بتطليقة هو أبوه عمر بن الخطاب بعد وفاة الرسول ﷺ.

قلت: وهذا بعيد ولا دليل عليه، إذ كيف لا يحسبها رسول الله ﷺ على ابن عمر تطليقة ثم يأتي عمر فيغيِّر قول رسول الله ﷺ بعد وفاته، فقصة طلاق ابن عمر كانت بين الرسول ﷺ وعمر وعبد الله، وعمر هو الذي استفتى النبي ﷺ ونقل الفتوى إلى ابنه، فكيف يحكم النبي ﷺ في المسألة بعدم احتساب التطليقة ثم يحسبها عمر! هذا بعيد.

ولا يقال أن عمر حسب طلاق الثلاث طلاقًا بائنًا بينونة كبرى ولم يكن رسول الله ﷺ يحسبه هكذا، فهذه مسألة أخرى وعمر رأى احتساب الثلاث بثلاث من قبيل التغرير والسياسة الشرعية، ولم يحكم في هذه المسألة بأثر رجعي، بل فيما استقبل من حالات طلاق في خلافته، لما رأى الناس يلعبون بالطلاق لعبًا.

قال ابن حزم أن ابن عمر في قوله: حسبت عليَّ بتطليقة، لم يصرح بمن حسبها عليه، ولا حجة في أحد دون رسول الله ﷺ، وتُعُقِّب بأنه مثل قول الصحابي: «أمرنا في عهد رسول الله ﷺ بكذا»، فإنه ينصرف إلى من له الأمر حينئذ وهو النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: وعندي أنه لا ينبغي أن يجئ فيه الخلاف الذي في قول الصحابي أُمرنا بكذا، فإن ذلك محله حيث يكون اطلاع النبي ﷺ على ذلك ليس صريحًا، وليس كذلك في قصة ابن عمر هذه فإن النبي ﷺ هو الآمر بالمراجعة وهو المرشد لابن عمر فيما يفعل إذا أراد طلاقها بعد ذلك، وإذا أخبر ابن عمر أن الذي وقع منه حسبت عليه بتطليقة كان احتمال أن يكون الذي حسبها عليه غير النبي ﷺ بعيدًا جدًا. [فتح الباري].

فمن الجهة الثانية أيضًا لا مجال لقول من قال أن الحاسب للطلاق ليس رسول الله ﷺ.

٣- قول ابن عمر ليونس بن جبير عندما سأله: أتعتد بتلك التطليقة؟ فقال: فمه، أوَ إن عجز واستحمق. [متفق عليه].

قوله: فمه، أصله فما، وهو استفهام فيه اكتفاء أي فما يكون إن لم تحتسب، ويحتمل أن تكون الهاء أصلية وهي كلمة تقال للزجر، أي كف عن هذا الكلام فإنه لا بد من وقوع الطلاق بذلك، قال ابن عبد البر: قول ابن عمر: فمه، معناه فأي شيء يكون إذا لم يعتد بها، إنكارًا لقول السائل: أيعتد بها، فكأنه قال: وهل من ذلك بد؟

وقوله: أرأيت إن عجز واستحمق، أي إن عجز عن فرض فلم يقمه، أو استحمق فلم يأت به، أيكون ذلك عذرًا له؟

وقال الخطابي: في الكلام حذف، أي أرأيت إن عجز واستحمق أيسقط عنه الطلاق حمقه أو يبطله عجزه؟ وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه. [فتح الباري].

قلت: وكلام ابن عمر في رواية يونس بن جبير

يحتمل التأويل من الفريقين المؤيدين والمعارضين، وهو ليس بصريح لأي منهما، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

٤- أورد الحافظ ابن حجر في الفتح أن ابن وهب أخرج في مسنده عن ابن أبي ذئب أن نافعًا أخبره أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، وهي واحدة.

قال ابن حزم عن قوله: «هي واحدة»: لعله ليس من كلام النبي ﷺ (يعني من قبيل المدرج: وهو زيادة لفظة في الحديث من كلام الراوي وليست من كلام النبي ﷺ).

قال الحافظ ردًا على كلام ابن حزم: فألزمه بأن نقض أصله لأن الأصل لا يدفع بالاحتمال.

قلت: وقول ابن حزم لعله يفيد عدم تحققه من أن هذه المقولة مدرجة في الحديث، والأصل عدم الإدراج إلا ببيِّنة على ذلك.

قال في تدريب الراوي: وكلمة أي: «الإدراج» بأقسامه (حرام) بإجماع أهل الحديث والفقه، حتى قال: وعندي أن ما أدرج لتفسير غريب لا يمنع، ولذلك فعله الزهري وغير واحد من الأئمة.

وفي فتح الباري: قال ابن أبي ذئب: وحدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع سالمًا يحدث عن أبيه عن النبي ﷺ بذلك أي: «وهي واحدة».

وكذلك أخرج هذه الزيادة بسنده عن ابن أبي ذئب وابن إسحاق جميعًا عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: هي واحدة، وهذا نص في موضع الخلاف فيجب المصير إليه. [فتح الباري].

ابن أبي ذئب الذي عليه مدار هذه الروايات هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، ثقة فقيه فاضل سمع من نافع مولى بن عمر.

وقال الشيخ أحمد شاكر عن حديث نافع الذي فيه: «وهي واحدة» بعد أن ساق كلام الإمامين ابن حزم وابن القيم أن الكلمة يحتمل ألا تكون من كلام النبي ﷺ أي كأنها مدرجة من الراوي أو يتأولاها بتأولٍ غير جيد.

قال: والصحيح الواضح أن قوله: «هي واحدة»، إنما يراد به الطلقة التي ستكون في الطهر الثاني في قُبُل العدة لأنها أقرب مذكور إلى الضمير، بل إنه لم يذكر غيرها في اللفظ النبوي الكريم، وطلقة الحيض أشير إليها فيه فقط».

ويكون معنى قوله: «هي واحدة» إن طلق كما أمر كانت طلقة واحدة ولا تكون طلقة ثانية لعدم الاعتداد بالأولى التي كانت لغير العدة فتكون هذه الرواية مؤيدة لرواية أبي الزبير.

قلت: هذا التوجيه ليس بقريب، فسؤال عمر لرسول ﷺ عن واقعة طلاق ابن عمر فالجواب في حديث النبي ﷺ ينصب على الواقعة المسئول عنها ففي قوله ﷺ في نهاية الحديث: «هي واحدة متوجهة إلى واقعة الطلاق التي سُئل عنها وليس عن طلاق بعد المراجعة قد يقع أو لا يقع».

وقد أخرج الإمام مسلم أن عبيد الله (أحد رواة الحديث عن نافع) قال: قلت لنافع: ما صنعت التطليقة؟ قال: واحدة اعتدَّ بها.

ونافع هو رواي الحديث الأول الذي فيه وهي واحدة مما يؤكد أن الضمير يعود على طلقة ابن عمر في الحيض.

٥- أورد الحافظ ابن حجر في الفتح: عند الشافعي عن مسلم بن خالد عن ابن جريج أنهم أرسلوا إلى نافع يسألونه: هل حسبت تطليقة ابن عمر على عهد النبي ﷺ. فقال نعم.

مسلم بن خالد: مسلم بن خالد المخزومي: ضعَّفه كثير من أهل العلم، وقال فيه الحافظ ابن حجر: فقيه صدوق كثير الأوهام. فهو يعتد به في المتابعات والشواهد، وهو في هذا الحديث لم ينفرد به بل جاء على وفق ما جاء عن نافع في احتساب تطليقة ابن عمر.

ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: ثقة فقيه فاضل إلا أنه كان يدلس ويرسل.

قال عنه الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح. [سير أعلام النبلاء ترجمة الإمام مالك].

حدَّث عن نافع وبذلك يندفع الإرسال، أما تدليسه في هذه الرواية فمحتمل لأن لم يذكر أنه سمع إنما قال: أنهم أرسلوا.

وعلى العموم فهذه الرواية جاءت مطابقة لما رواه الآخرون.

وفيها الرد على من قال أن تطليقة ابن عمر حسبت بعد وفاة النبي ﷺ لقول نافع حين سُئل: هل حسبت تطليقة ابن عمر على عهد النبي ﷺ، فقال: نعم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الاختلاف في الدين

■■ الاختلاف في مجالات نشاط الإنساني يؤدي إلى إقامة الحياة السعيدة، لكن الخلاف في مجالات الدين المختلفة سبب لتعاسة الإنسان، وفساد أمره وتشتت شأنه، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف في إطار الديانة مذموم من حيث الجملة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]. ■■

أ. الاختلاف في القرآن الكريم

الاختلاف المذكور في القرآن الكريم على ضربين:

الضرب الأول: اختلاف تُذم فيه كلا الطائفتين المختلفتين كما قال سبحانه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:١٧٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وترجع أسباب الاختلاف المذموم بين طائفتين إلى فساد النية، لأن الدافع إليه هو البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ويرجع أيضًا إلى جهل كل من المختلفين بالأمر المتنازع فيه، أو الجهل بالدليل القاطع للنزاع، أو جهل كل من المختلفين بما عند صاحبه من الحق سواء كان ذلك في الحكم أو الدليل، هذا إذا كان عالمًا بما عنده من الحق حكمًا ودليلا، وقد بين الله تعالى أن أصل الشر كله الجهل والظلم، قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢].

الضرب الثاني: هو ما حمد الله فيه إحدى الطائفتين؛ وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾ [البقرة:٢٥٣] فحمد إحدى الطائفتين ووصفهم بالإيمان، وذم الأخرى ووصفها بالكفر، هذا وأكثر الخلاف المؤدي إلى الأهواء والبدع في الأمة المحمدية هو من النوع الأول، سبب ذلك أن كلا من الطائفتين المتنازعتين لا تعترف بما عند الأخرى من الحق ولا تعدل في حكمها لها وعليها.

ب. الاختلاف في السنة النبوية

ويتبين ذلك من عدة أمور:

أولا: إخباره ﷺ عن افتراق هذه الأمة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»

[رواه أبو داود كتاب السنة (٣٨) والترمذي كتاب الفتن (٣٤)]

ثانيا: إخباره بانتشار الأهواء وتبني بعض الأمة نشرها والدفاع عنها، كما قال ﷺ: «إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به» [رواه أحمد في المسند (١٠٥/٤) وأبو داود في كتاب السنة (٣٨)]

ثالثا: إخباره باتباع هذه الأمة أهل الكتاب في أهوائهم كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»

[رواه الترمذي كتاب الإيمان (٨)]

رابعا: نصه على من معه الحق من طوائف الافتراق كما في الحديث الآنف الذكر.

خامسا: أنه نهى عن الاختلاف الذي فيه جحد

سبب الفرقة أن كلا من الطائفتين المختلفتين لا تعترف بما عند الأخرى من الحق ولا تعدل في حكمها لها أو عليها

إعداد
د. ابراهيم محمد البريكان

كل واحد من المختلفين ما عند الآخر، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»

[رواه البخاري كتاب الخصومات(١)، فضائل (٢٧)، انبياء (٥٤)]

فدل الحديث على تحريم مثل هذا الاختلاف وأن يكون لنا عبرة فيمن قبلنا حيث اختلفوا بمثل ذلك.

سادسًا: الاختلاف في السنة النبوية على نوعين:

النوع الأول: اختلاف تنوع: كالاختلاف في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح وصلاة الخوف وتكبيرات العيد ونحو ذلك وهذا النوع من الاختلاف يأتي على وجوه منها:

أن يكون القولان أو الفعلان مشروعين كالقراءات ومن ذلك ما تقدم من اختلاف الأنواع، ومنها ما يكون الاختلاف القولي في اللفظ دون المعنى، ومنها ما يكون كل واحد من الأقوال غير الآخر لكن لا تنافي بينهما وهما قولان صحيحان، ومنها ما يكون في طريقتين مشروعتين لكن كل واحد قد سلك واحدة منهما. وهذا النوع من الاختلاف ليس مذموما لكن إن اقترن به البغي والظلم مع الجهل صار مذموما.

النوع الثاني: اختلاف تضاد: وهو أن يتنافى القولان من كل وجه وهو يكون في الأصول والفروع، وهذا لا يكون إلا على قول جمهور العلماء من أن المصيب في الكل واحد وهو الراجح، وأما على قول من يقول كل مجتهد مصيب فهو عنده من قبيل اختلاف التنوع، أما هذا النوع من الاختلاف أي التضاد فهو أكثر أنواع الاختلاف وأعظمها خطرًا؛ وذلك كالاختلاف في القدر والصفات والصحابة ونحو ذلك في باب الأصول والاختلاف بالتبديع وعدمه في باب الفروع، هذا وقد جاءت السنة بإقرار اختلاف التنوع كما في إقراره ﷺ للصحابة على اجتهادهم في فهم قوله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»

[متفق عليه، رواه البخاري كتاب (٦٤) باب (٤٩)، مسلم كتاب (٥) ح (٢٠٩)]

فمنهم من أخرها أخذًا بهذا الحديث ومنهم من أخذ بأحاديث الوقت مخصصًا لهذا الحديث.

وجاءت السنة بذم اختلاف التضاد كما في حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب» [رواه مسلم كتاب العلم ح(٢)]

أسباب الاختلاف في الدين

ويمكن أن نتلمس أسباب الخلاف من خلال نصوص الكتاب والسنة وهي كما يلي:

أولا: بغي الخلق بعضهم على بعض وظلم بعضهم لبعض كما قال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩].

واستحلال الدماء من أخطر النتائج التي تترتب على الظلم والبغي، ولذا فقد شرع الله ما يمنع البغي والظلم من الإصلاح فقال سبحانه: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] وأوجب على الأمة المحمدية رد الظلم فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] فأمر بالعدل الذي هو ضد الظلم والبغي.

ثانيا: اتباع الهوى الذي يتضمن اتباع ما تهواه النفوس والطبائع وترك ما يأمر به الشرع من العدل والإحسان كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣] فجمع السبل لكثرتها ووحد سبيله لأنه واحد كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ واتباع الهوى من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣].

وقال أبو العالية: (وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء)، ومن هنا حذر النبي ﷺ من أتباع الهوى فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». [أخرجه بن ابي عاصم في السنة (١٢/١) والبغوي في شرح السنة (٢١٢/١) من طريق نعيم بن حماد وأشار ابن رجب الحنبلي لانقطاع سنده في كتاب (جامع العلوم والحكيم) ح (٤١) فهو ضعيف]

•• الفرقة والخلاف حبيلة من حبائل الشيطان
•• الفلسفات الغربية الوافدة فرقت المسلمين بعد الوحدة

ثالثا: اتباع وساوس الشيطان، والشيطان عدو لبني آدم كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦] وهو لا يألوا جهدًا في إضلالهم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص:١٥]، وحذرنا الله من اتباع طرقه ووساوسه فقال: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨] وأوضح لنا أن التفرق والاختلاف ما هو إلا حبيلة من حبائله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١]، وقال ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم» [رواه أحمد في مسنده].

رابعا: اتباع المتشابه: وهو ما لا يعلم معناه إلا الله، وترك المحكم الواضح البين، فقد روى الآجري بسنده عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، قال: أما المتشابهات فهي: آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرأوهن، كل فرقة يقرأون آيات من القرآن ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى.

وقد حذر الله هذه الأمة من اتباع المتشابهات، فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧].

وسبيل أهل الحق: الإيمان بالمتشابه ورده إلى المحكم، فقد روى الآجري بسنده عن ابن عباس قال عن الخوارج: (يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به).

خامسا: الجهل بالدين، فإن في العلم نجاة وفي الجهل هلكة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩].

والعلم لن يضل السبيل أبدا لأن العلم النافع هو الطريق الصحيح لحفظ الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣].

سادسا: إطلاق الألفاظ المشتركة والمجملة المحتملة للحق والباطل وأكثر ما جرى بين الأمة من الاختلاف والفرقة هو بسببها بدءًا بانشقاق الخوارج والشيعة بقولهم: (لا حكم إلا لله) وانتهاء بذلك الكم الهائل من الفرق بسبب تلك المصطلحات التي عجت بها كتب العقائد كالافتقار والتركيب والبعض والجزء والجهة والحيز والحد ونحوها مما لا يمكن حصره.

سابعا: الابتداع في الدين بأن يشرع ما لم يشرعه الله لعباده أصلا وهيئة، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]، وقال ﷺ: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» [سنن أبي داود كتاب السنة باب (٥)]، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [متفق عليه رواه البخاري كتاب الصلح باب (٥)، مسلم الأقضية ح(١٧)].

والناظر في أكثر ما جرى من الانقسام في جسم الأمة المحمدية يجده من هذا القبيل.

ثامنا: الغلو في الدين كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١]، وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [رواه أحمد في مسند (١/٢١٥) وابن ماجه كتاب المناسك (٢٥) ح(٢٩-٣٠)].

تاسعا: متابعة الأمم السابقة من اليهود والنصارى وسواهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

[سنن الترمذي كتاب الفتن باب (١٨)، وابن ماجه كتاب الفتن باب (١٧)]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة»، قيل من هي يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» [سنن الترمذي كتاب الإيمان (٣٨) باب (١٨)].

عاشرا: الثقافات الوافدة نتيجة لترجمة علوم

الأمم الأخرى كاليونانية والهندية وهي ثقافات وثنية، وقد بدأت ترجمتها في أواخر عهد بني أمية في المائة الثانية من الهجرة حيث كان خالد بن يزيد بن معاوية شغوفا بعلوم الأوائل وفلسفتهم ثم زادت حركة الترجمة - بعد توقف - في خلافة المأمون حيث أرسل لملوك البلدان من يجلب ما عندهم من مخطوطات العلوم والفنون ليجلبوا له كتب الفلسفة التي اتفقوا على جلبها إلى العالم الإسلامي حتى يفسدوا عليه عقائده ويولدوا الفرقة فيه من داخله وهو نتيجة طبيعية لتلك المناظرات الفلسفية والمعارضات العقدية.

حادي عشر: كيد أعداء الإسلام والذين أظهروا الإسلام قصدًا لِفَتِّ قوته وتقويض دولته وزرع الخلافات بين أهله واتخذوا من الحركات الباطنية والسرية طريقا لنشر أباطيلهم ولقد كان لبعضهم من المكانة والمنزلة ما يسر له ذلك مثل ابن المقفع المجوسي والبرامكة عُباد النار ممن كانت لهم صولة وجولة في أيام غيبة الوعي الإسلامي ومن أعظمهم أثرًا وأكثرهم خطرًا الوزير ابن العلقمي الرافضي والباطني والنصير الطوسي اللذان عن طريقهما قضي على حضارة الإسلام في المشرق عندما هيأوا للتتار طريق الدخول على المسلمين وتحطيم دولتهم والقضاء على معارفهم، مما كان سببًا في نشر الفرقة بين المسلمين.

ثاني عشر: التأويل الذي به استحلت الأموال والأنفس والفروج وغُيِّر وجه الدين عن طريق التأويل الباطني والصوفي والكلامي.

ثالث عشر: الجدل والخصومة في الدين.

رباع عشر: العصبية للآراء والمذاهب.

والله من وراء القصد.

مختصر من مجلة البحوث الإسلامية العدد (٤٦)

القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد

الحلقة الرابعة

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

لا يزال الحديث موصولا مع قرائنا الأعزاء حول الرد على هذه البدعة المنكرة، وهي إنكار تقسيم التوحيد إلى أقسامه الثلاثة المعهودة خلفًا عن سلف الأمة، والتي دل عليها الاستقراء التام لنصوص الشرع، وإليك أخي المسلم:

دلالة كلمة التوحيد على هذا التقسيم

بل إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التي هي أصل الدين وأساسه قد دلت على أقسام التوحيد الثلاثة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أُنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر».

وأما وجه دلالة هذه الكلمة العظيمة على أقسام التوحيد الثلاثة فظاهرة تمامًا لمن تأملها، فقد دلت على إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، كما دلت أيضًا على توحيد الربوبية، فإن العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، ودلت على توحيد الأسماء والصفات، فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء، بل هو عدم محض، كما قال بعض العلماء: المشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، والموحد يعبد إله الأرض والسماء.

ذكر بعض أقوال السلف في تقرير هذه الأقسام

كُتب السلف الصالح مليئة بالتصريح تارة والإشارة تارة إلى هذه الأقسام، ولو ذهبتُ أنقل كلَّ ما أعلمه من أقوالهم في ذلك لطال المقام، لكن حسبي أن أورد هنا بعض النقول عن سلف هذه الأمة، من النصوص المشتملة على ذكر أقسام التوحيد الثلاثة.

١- قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠هـ في كتابه الفقه الأوسط يدُعى من أعلى لا من أسفل؛ لأنَّ الأسفل ليس الأوسط وصف الربوبية والألوهية في شيء.

فقوله: «يُدعى من أعلى لا من أسفل» إثبات العلو لله، وهو من توحيد الأسماء والصفات، وفيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من نفاة العلو.

وقوله: «من وصف الربوبية» فيه إثبات توحيد الربوبية.

وقوله: «والألوهية»: فيه إثبات توحيد الألوهية.

٢- قال ابن منده في كتابه «التوحيد»: أخبرنا محمد بن أبي جعفر السرخسي ثنا محمد بن سلمة البلخي ثنا بشر بن الوليد القاضي عن أبي يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٢هـ) أنه قال: ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر، مالك، ولم يقل: إني عالم قادر، لعلة كذا أقدر، بسبب كذا أعلم، وبهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾.

قال أبو يوسف: لم يقل الله: انظر كيف أنا... وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق، ولكن قال: انظر كيف خلقت، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾، وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ أي تعلم هذه الأشياء، لها رب يقلّبها ويبديها ويعيدها،... مُكوِّنُ ولك مَن كونك، وإنما دلَّ الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا يعبدونه ويطيعونه ويوحدونه، ليعلموا أنه مكونهم، لا هم كانوا، ثم تسمَّى، فقال: أنا الرحمن، وأنا الرحيم وأنا الخالق وأنا القادر وأنا المالك،... هذا الذي كونكم يُسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم، بها يوصف.

ثم قال أبو يوسف: يُعرف الله بآياته وبخلقه، يُوصف بصفاته، ويُسمى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدّى إلى الخلق رسوله.

ثم قال أبو يوسف: إن الله عز وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح، عجز بعض جوارحك عن بعض، وهو ينقلك من حال إلى حال، لتعرف أن لك ربا، وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تعرف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا

الرحمن، وأنا الله وأنا القادر، وأنا المالك، فهو يوصف بصفاته ويُسمى بأسمائه، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، وقال:)) لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، فقد أمر الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس ؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثيل له تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال: وكيف يُدرك التوحيد بالقياس، وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ليس كمثله شيء تبارك وتعالى وقد أمرك الله عز وجل أن تؤمن بكل ما أتى به نبيه ﷺ، فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، فقد أمرك الله عز وجل بأن تكون تابعًا سامعًا مطيعًا، ولو يوسَّع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيهم وقياسهم وأهوائهم إذًا لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، فافهم ما فسر به ذلك.

ورواه أيضًا الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ في كتابه «الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة»، ولأهميته عنده خصَّه بفصل مستقل فقال: «فصل في النهي عن طلب كيفية صفات الله عز وجل»، وذكره بإسناده من طريق السرخسي به.

(وأثر أبي يوسف) هذا الذي رواه هذان الإمامان عظيما القدر، مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

قال شيخنا الدكتور علي فقيهي في التعليق على هذا الأثر: وقد ذكر أبو يوسف كلامًا نفيسًا في باب التوحيد، هو ظاهر في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فذكر أنَّ التوحيد لا يكون بالقياس، مبينًا أن القياس لا يكون إلا إذا وُجدت علة، حيث قال: ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي ولم يقل إني قادر عالم لعلة كذا، أو أقدر بسبب كذا، قال: ولذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يُعرف الله إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، ثم ذكر أدلة ذلك، ثم قال: لم يقل الله انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر، وإنما قال: انظر كيف خلقت... إلخ. إن ما ذكره رحمه الله لا يحتاج لبيان، فراجعه تجد فيه الردَّ على الملحدين في الربوبية وفي الأسماء والصفات مستدلاً بذلك على توحيد العبادة والطاعة لله وحده.

٣- قال ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: «فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كلّ شيء يدين له بالربوبية كلّ ما دونه».

٤- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ في مقدمة متنه في العقيدة المشهور بالطحاوية: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره».

فقوله: «إن الله واحد لا شريك له» شامل لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.

وقوله: «ولا شيء مثله»، هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: «ولا شيء يعجزه» هذا من توحيد الربوبية.

والحمد لله رب العالمين

من نور كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». [صحيح مسلم ١١٦٣].

من أقوال السلف

عن جابر بن يزيد، أن ابن عمر لقيه في الطواف، فقال له: يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة فلا تفتِ إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت. [سنن الدارمي (١/٧١)].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: تعلموا تعلموا، فإذا علمتم فعلّموا. [سنن الداري (١/١١٥)].

عن ابن جريج قال: قال ابن.....: تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها. [سنن الدارمي (١/١٥٧)].

حكم ومواعظ

قال ابن عباس رضي الله عنه: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، ذهب عنه. [الوابل الصيب ٣٥٦].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وادّوا فرائضه الجنة. [التخويف من النار (ص٧)].

قال الفضيل بن عياض: «إن خفت الله لن يضرك أحد، وإن خفت غير الله لا ينفعك أحد». [شعب الإيمان ٣/٢٠٧].

من تواضع السلف

عن أبي حمزة قال: قال إبراهيم: يا أبا حمزة، والله لقد تكلمت ولو وجدت بدأ ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة زمان سوء. [سنن الدارمي ١/٧٧].

من سير السلف

كان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر وتغير، فيُقال: ما لك، فيقول: «أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم». [منهاج القاصدين ٣١٤].

السيادة بالفقه لا بالمال

عن تميم الداري قال: تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر: يا معشر العرب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكًا له ولهم. [سنن الدارمي ١/١٩].

من درر العلماء في آيات الصفات

قال الإمام الدارمي رحمه الله: إنما الموحد الصادق في توحيده الذي يوحد الله بكماله وبجميع صفاته وفي علمه وكلامه وقبضه وبسطه ونزوله وعلوه، عن جميع خلقه بجميع صفاته؛ من النفس

والوجه والسمع والبصر واليدين والعلم والكلام، والقدرة والمشيئة والسلطان، القابض الباسط المعزّ المذل الحي القيوم، الفعال لما يشاء. [النقض على المريسي للدارمي (ص٣٢٠)].

توحيد الربوبية لا يكفي !!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا التوحيد (توحيد الربوبية العام) كان المشركون يقرون به، فهو وحده لا ينجي من النار، ولا يدخل الجنة، بل التوحيد المنجي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بحيث يقر بأن الله سبحانه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن محمدًا رسول الله. فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن عصى الرسول فقد عصى الله فيحل ما حلله الله ورسوله ويحرم ما حرمه الله ورسوله، ويأمر بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله. [الاستغاثة لابن تيمية (١/٣٥٨)].

مخالفات تقع فيها النساء

الاختلاط بالرجال الأجانب من أقارب المرأة أو أقارب الزوج أو غيرهم، والتساهل بالمزاح معهم ومصافحتهم وإظهار الزينة إمامهم، وعدم التستر عندهم، قال رسول اللَّه ﷺ: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: «الحمو الموت». والحمو هو من كان من أقارب الزوج.

من أخطاء الطهارة

-الدعاء عند غسل أعضاء اليمنى: اللهم أعطني كتابي بيميني، وعند غسل وجهه: اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه... إلخ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولم يحفظ عنه ﷺ أنه كان يقول على وضوئه شيئًا غير التسمية، وكل حديث في أذكار الوضوء التي تقال عليه مكذوب مختلق لم يقل رسول اللَّه ﷺ شيئًا منه ولا علمه لأمته ولا ثبت عنه غير التسمية في أقوله وقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

من أمثال العرب: الشماتة لؤمٌ

قاله أكثم بن صيفي التميمي، أي لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لَؤُم أصله، وقال:

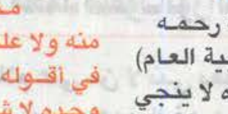

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أناس
كَلاكِلَهُ أناخَ بآخَرِينا
فقُل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

أخطاء في العقيدة والتوحيد الدعاء والاستغاثة لغير الله:

فكل من دعا أو استغاث بغير الله، كأن دعا أو استغاث بملكٍ من الملائكة أو بنبي أو ولي أو جني من الشياطين، أو أي إنسان حيًا كان أم ميتًا فقد وقع في الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤].

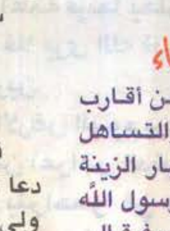

واقـــع الأمـــة

بقلم الشيخ / محمد صفوت نور الدين رحمه الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد أخرج أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة، ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟» قال: لزمتني ديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

إن الله لا يخلف الميعاد، والناظر إلى وجه الأرض اليوم يرى المسلمين في بلادهم بين مهان لا يستطيع أن يعلن بإسلامه، وإن أعلنه فإنما يعلن أنه ينتمي للإسلام اسمًا ولا يعلن تحكيم دينه الذي يعتنقه في حياته، فلا يرى الله قد حكم في ماله ولا عرضه ولا في وقته ولا في قضاياه وخصوماته مع الآخرين.

والناظر إلى حال المسلمين في آفاق الأرض اليوم يرى العداوة قد دبت بينهم فهم يقتتلون من أجل سلطان زائل أو عرض من أعراض الدنيا الفانية، إن أظهر الله الخير في بلادهم لم يتناصفوا في تقسيمه ولم يتراحموا في عطائه، إنما يقتتلون أيهم يفوز به، فكيف بهم يوم يقع ما تحدث عنه النبي ﷺ عندما قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا». فمَن الذي يستطيع ذلك.

ثم نعود فنقول: نحن أهل الإسلام والصلاة والعبادات لله رب العالمين، لماذا لم يتحقق فينا وعد الله تعالى، وينادون بوحدة الصف، ويقولون بلاد الكفر قد توحدت والسوق المشتركة قد تكونت والاتحادات بين الدول قد أُنشئت، ومع ذلك فدول الإسلام مهددة بالانقسام إلى دول كثيرة.

وإذا نظرت إلى حال المسلمين مع أنهم يؤدون الصلاة، فالمنكرات والفواحش تملأ كل

موقع عندهم، والله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، فلقد أدينا الصلاة فلماذا لم تنته الفواحش والمنكرات من بلادنا ومن بيوتنا، هل تخلف وعد الله الصادق معنا.

والجواب: إن وعد الله حق، إن الله وعدكم وعد الحق، إذًا فلماذا تخلف الوعد، لك أن تنظر إلى هذا الرجل الذي جاء يقول: يا رسول الله، إن أخي استطلق بطنه، فقال ﷺ: «اسقه عسلاً»، فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة، فقال: «اسقه عسلاً»، فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك»، فسقاه العسل فبرأ.

فهذا يدلنا أنه إذا لم يتحقق لنا وَعْدٌ وَعَدَهُ الله وجاء في شرعه؛ فالمتهم هم العاملون وليس الوعد، فإن وعد الله لا يتخلف، ولكن علينا نحن أن نكون مؤمنين عاملين.

ولذا فإن الله افترض علينا الفرائض فإذا أديناها حقق الله تعالى لنا ما وعد، فإن لم يتحقق لنا ذلك فعلينا بالرجوع إلى أنفسنا نتهمها بالكذب: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً».

فعلينا بالرجوع إلى أنفسنا والدخول على الله تعالى من باب النوافل التي شرعها وأذن لنا إن عملناها قَبلها فلم يغلق علينا باب التوبة بعد الفريضة، إنما هو سبحانه فتح لنا الباب في عبادته سبحانه.

من أجل ذلك فعلينا الدخول من هذه الأبواب حتى يرضى عنا ربنا وينزع عنا عجزنا ويجبر منا كسرنا ويعيدنا إلى دينه وحظيرته فيتحقق لنا وعده إنه لما يشاء قدير.

فنعلم أننا أوتينا من قِبلَ أنفسنا، فالمعاصي التي ملأت كل موقع هي سبب زرع الوهن في قلوبنا، ونزع المهابة من صدور أعدائنا، حتى نظروا إلينا أننا فريسة سهلة المنال يمكن لهم أن يأخذوها، بل لم يتعبوا أنفسهم في حربنا لأنهم وجدوا أننا قد تسلطنا على أنفسنا فصرنا نعطيهم خيرات بلادنا، ونقتل لهم إخواننا وأنفسنا، ونحل لهم ديارنا وأموالنا وأعراضنا، إن جاءوا إلينا ماكرين، وإن تحاكمنا إليهم فأذلاء مخذولين، فما الحل وما المخرج؟

إنه ليس إلا الإيمان والصلاة والزكاة والصوم وذكر الله وأداء الفرائض والدخول من أبواب النوافل، واللجوء إلى الله والدعاء والتضرع ليرى فينا أنا عبيده فيقوينا وينصرنا ويجبر عجزنا، كما كان حال سلفنا الصالح خافوا الله فأطاعوه فأخاف الله منهم عدوهم، وجعل سلاحهم على قِلّته شديدًا، وعددهم على ضآلته كبيرًا، فنصرهم الله بالرعب مسيرة شهر، لذا فإنهم كانوا يحذرون المعاصي ويخافون الوقوع فيها أكثر من خوفهم الأمراض الفتاكة والجيوش الجرارة، فالطاعة رأس مال كبير، والمعصية وبال عظيم وهوان على الله وعلى سائر خلقه.

فاللهم ردنا طائعين ووحد على الإيمان قلوبنا وعلى الإسلام صفوفنا.

والله من وراء القصد.

بسير الأعلام

أبو الزناد

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ولقبه: هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن ذكوان القرشي المدني، ويلقب بأبي الزناد وأبوه مولى رملة بنت شيبة زوجة الخليفة عثمان بن عفان، وقيل: مولى آل عثمان.

مولده: ولد في نحو سنة خمس وستين.

شيوخه: روى عن أنس بن مالك وأبي أمامة بن سهل وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير وابن المسيب وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والقاسم بن محمد بن أبي بكر والأعرج عبد الرحمن بن هرمز وهو مكثر عنه ثبت فيه والشعبي وغيرهم كثير.

الرواة عنه:

روى عنه ابنه عبد الرحمن وموسى بن عقبة وابن أبي مليكة وصالح بن كيسان وهشام بن عروة وابن عجلان وابن إسحاق ومالك والليث بن سعد وسفيان الثوري وابن عيينة وسعيد بن أبي هلال وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث.

قال أحمد: وهو فوق العلاء بن عبدالرحمن وفوق سهيل ومحمد بن عمرو، أبو الزناد أعلم من ربيعة.

قال ابن معين: ثقة حجة.

قال ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى بن سعيد وأبي الزناد وبكير الأشج.

قال ابن سعد: كان أبو الزناد ثقة كثير الحديث فصيحًا بصيرًا بالعربية عالمًا عاملاً.

قال العجلي: تابعي ثقة.

قال أبو حاتم الرازي: ثقة فقيه صالح الحديث صاحب سنة وهو مما تقوم به الحجة إذا روى عنه الثقات.

قال البخاري: أصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

قال ابن عيينة: قلت للثوري: جالست أبا الزناد؟ قال: ما رأيت بالمدينة أميرًا غيره.

قال مصعب بن عبد الله: كان أبو الزناد فقيه أهل المدينة وكان صاحب كتاب وحفظ.

قال ابن عدي: أبو الزناد كما قال يحيى بن معين ثقة حجة ولم أرد له حديثًا لأن كلها مستقيمة.

قال ابن حجر: ثقة فقيه.

قال الذهبي: الإمام الفقيه المفتي، وقال أيضًا: كان من علماء الإسلام ومن أئمة الاجتهاد.

من أحواله وأقواله:

قال عبد ربه بن سعيد: دخل أبو الزناد مسجد النبي ﷺ ومعه من الأتباع - يعني طلبة العلم - مثل ما مع السلطان فمن سائل عن فريضة ومن سائل عن الحساب ومن سائل عن الشعر ومن سائل عن الحديث ومن سائل عن معضلة.

قال الليث بن سعد: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مائة تابع من طالب فقه وشعر وصنوف ثم لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة وكان ربيعة يقول: «شبر من حظوة خير من باع من علم».

قال الذهبي: غفر الله لربيعة، بل «شبرٌ من جهل خيرٌ من باع من حظوة». والسلامة في الخمول، نسأل الله المسامحة.

ذكر أبو يوسف عن أبي حنيفة قال: قدمت المدينة فأتيت أبا الزناد ورأيت ربيعة فإذا الناس على ربيعة وأبو الزناد أفقه الرجلين، فقلت له: أنت أفقه أهل بلدك والعمل على ربيعة؟ فقال: ويحك «كف من حظ خيرٌ من جراب من علم».

قال مصعب بن عبد الله: وكان أبو الزناد معاديًا لربيعة الرأي وكانا فقيهي البلد في زمانهما وكان الماجشون يعقوب بن أبي سلمة يعين ربيعة على أبي الزناد، وكان الماجشون أول من علّم الغناء من أهل المروءة بالمدينة.

قال أبو الزناد: مثلي ومثل الماجشون كمثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم ودواجنهم فاجتمعوا له فخرجوا في طلبه فهرب منهم فتقطعوا عنه إلا صاحب فخّار ..... فألح عليه، فوقف له الذئب وقال: هؤلاء عذرتهم أرأيتك أنت مالي ولك، والله ما كسرت لك فخارة قط، ثم قال: ما لي وللماجشون والله ما كسرت له كَبَرًا ولا بَرْبَطًا.

[الكبر: طبل له وجه واحد، والبربط: من ملاهي العجم]

قال محمد بن سلام الجمحي:

قيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها إن أدنتني منها فقد صانتني عنها.

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: هو كان سبب جلد ربيعة الرأي ثم ولي بعد ذلك المدينة التيمي، فأرسل إلى أبي الزناد فطين عليه بيتًا فشفع فيه ربيعة.

قال الذهبي: تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا.

ولما رأى ربيعة أن أبا الزناد يهلك بسببه ما وسعه السكوت فأخرجوا أبا الزناد وقد عاين الموت وذبل ومال عنقه. نسأل الله السلامة.

وروى الليث بن سعد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: أما أبو الزناد فليس بثقة ولا رضي.

قال الذهبي: انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة رضي.

وقيل: كان مالك لا يرضى أبا الزناد وهذا لم يصح وقد أكثر مالك عنه في «موطئه».

روى العقيلي بسنده عن ابن القاسم قال: سألت مالكًا عمن يحدث بالحديث الذي قالوا: «إن الله خلق آدم على صورته»، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا ونهى أن يتحدث به أحد، فقيل: إن ناسًا من أهل العلم يتحدثون به، قال: مَن هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ولم يكن عالمًا ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات.

قال الذهبي: الخبر لم ينفرد به ابن عجلان، بل ولا أبو الزناد، فقد رواه شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد ورواه قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة، ورواه ابن لهيعة عن الأعرج وأبي يونس عن أبي هريرة، ورواه معمر عن همام عن أبي هريرة، وصح أيضًا من حديث ابن عمر، وقد قال إسحاق بن راهويه عالم خراسان: صح هذا عن رسول الله ﷺ، فهذا الصحيح، مخرّجٍ في كتابي البخاري ومسلم فنؤمن به ونفوض، ونسلّم ولا نخوض فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. انتهى.

قلت: حديث ابن عمر رواه الآجري في الشريعة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن خزيمة في التوحيد وغيرهم بلفظ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل».

قال الآجري بعد روايته الحديث:

هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها كيف ؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. اهـ.

قال عبد الوهاب الوراق: من لم يقل إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فهو جهمي.

وقد ذكر أبو يعلى في طبقات الحنابلة قال أحمد: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي.

وقد قال شيخ الإسلام ابن يتيمة: لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير (يعني في قوله على صورته) عائدٌ إلى الله فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث تدل على ذلك. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجه ابن أبي عاصم أيضًا عن طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يردُّ التأويل، قال: «من قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن». فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، ونقل عن حرب الكرماني في كتاب السنة قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. اهـ.

وفاته: توفي أبو الزناد رحمه الله في رمضان سنة ثلاثين ومائة وقيل إحدى وثلاثين. والله أعلم.

المراجع:

سير أعلام النبلاء - التهذيب - تقريب التهذيب - فتح الباري.

ماذا يحب الله

الإيمان بالله

الحلقة الأولى

إعداد

عدنان الطرشه

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله».

الإيمان بالله:

هو التوحيد، أي: إفراد الله بالعبادة وهو ثلاثة أنواع:

١ - توحيد الألوهية:

وهو توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة، والذبح، والنذر، والدعاء، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.

٢ - توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والاحياء والإماتة والبعث.

٣ - توحيد الأسماء:

بكل ما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة؛ من أسماء الله، وصفاته التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف، أو التمثيل، أو التشبيه، أو التأويل، أو التحريف، أو التعطيل. واعتقاد أن الله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]

وماذا يكره الله

لا يحب الله الكافرين

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

الكافرون:

هم ضد المؤمنين، وهم الظالمون الذين يغطون الحق ويسترونه، ويكفرون بالله، ويجحدون وجوده، ويعبدون غيره، ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانا، ويكفرون برسول الله محمد ﷺ ويكفرون بما أنزل عليه من القرآن، ويكفرون سنته، ويستهزئون بشخصه وأموره الخاصة، ويكفرون بملائكة الله وكتبه ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويكفرون باليوم الآخر وبالبعث فلا يرون بعثا ولا معادا في الآخرة ويزعمون أنهم لا يُبعثون، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط وأنها هي جنتهم، ويكفرون بالجنة والنار.

وهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤]، وهم الذين كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ويودون أن يكفر المسلمون كما كفروا فيكونون سواء، ولا يرضون عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم وملتهم.

وهم الذين: ﴿جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

مختارات من علوم القرآن

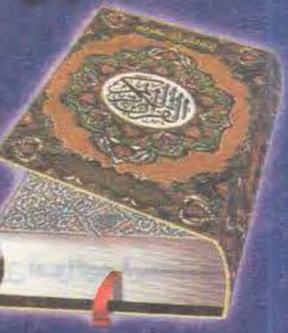

أسباب النزول

بقلم
مصطفى البصراتي

مع سلسلة مختارات من علوم القرآن والتي نحاول بحول من الله تعالى أن نُقرّب من خلالها علوم القرآن بين يدي الأمة، فنواصل الحديث معكم إن شاء الله تعالى هذا العام لنقف مع القارئ الكريم مع علم من علوم القرآن الكريم أصيل هو علم أسباب النزول.

والذي ينقسم نزول القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: ابتدائي

وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه وهو غالب آيات القرآن، وهو ما نزل ابتداءً بعقائد الإيمان وواجبات الإسلام وما نزل ليهدي الإنسانية إلى المحجة الواضحة، ويرشدها إلى الطريق المستقيم ويقيم لها أسس الحياة الفاضلة التي تقوم دعامتها على الإيمان بالله ورسالاته ويقرر أحوال الماضي، ووقائع الحاضر وأخبار المستقبل وأكثر القرآن نزل ابتداءً لهذه الأهداف العامة.

القسم الثاني: سببي

وهو ما نزل مرتبطًا بسبب من الأسباب الخاصة وهو موضوع البحث الآن:

والسبب:

أ- إما سؤال يجيب الله عنه، مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وسواء أكان ذلك السؤال المرفوع إلى النبي ﷺ يتصل بأمر مضى نحو قوله سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [آية: ٨٣] أم يتصل بحاضر أو مستقبل إلى غير ذلك.

ب- أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] الآيتان نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن فجاء الرجل يعتذر إلى النبي ﷺ فيجيبه بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

ج- أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

د- أو تمنيًا من التمنيات، كموافقات عمر رضي الله عنه، ومن أمثلتها ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم

مـصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسولَ الله، إن نساءك يدخل عليهن البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن»، فنزلت كذلك، وهذه في سورة التحريم [الآية: ٥].

طريق معرفة سبب النزول

لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح، والعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله ﷺ، أو عن الصحابة فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحًا لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع، قال الواحدي: «لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا في علمها وجدّوا في الطلب» وهذا هو نهج علماء السلف، فقد كانوا يتورعون عن أن يقولوا شيئًا في ذلك دون تثبت، قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن. وهو يعني الصحابة، وإذا كان هذا هو قول «ابن سيرين» وهو من أعلام علماء التابعين تحريًا للرواية، ودقة في الفصل، فإنه يدل على وجوب الوقوف عند أسباب النزول الصحيحة، ولذا فإن المعتمد من ذلك فيما روى من أقوال الصحابة ما كانت صيغته جارية مجرى المسند بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول.

التعبير عن سبب النزول

تختلف عبارات القوم في التعبير عن سبب النزول، فتارة يُصرِّح فيها بلفظ السبب فيقال: «سبب نزول الآية كذا»، وهذه العبارة نَصٌّ في السببية لا تحتمل غيرها، وتارة لا يُصرِّحُ بلفظ السبب ولكن يُؤتي بفاء داخلةٍ على مادة نزول الآية عقب سَرْد حادثة، وهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السببية أيضًا.

ومثاله ما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: «من أتى امرأته من دُبرها في قُبلها جاء الولد أحول»، فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: «أنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ في إتيان النساء في أدبارهن، فالمعول عليه في بيان السبب هو رواية جابر الأولى، لأنها صريحة في الدلالة على السبب، ومرةً يُسأل الرسول، فيوحَى إليه ويُجيب بما نزل عليه ولا يكون تعبيرٌ بلفظ سبب النزول، ولا تعبيرٌ بتلك الفاء، ولكن السببية تُفهم قطعًا من المقام، مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: «كنتُ أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب فمرَّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه فقالوا: حدِّثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الرُّوح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾»، فهذا الخبر الثاني يدلُ على أنها نزلت بمكة، وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه، أما الأول فصريح في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وحكم هذا أيضًا حكم ما هو نصٌ في السببية.

ومرة أخرى لا يُصرح بلفظ السبب ولا يؤتى بتلك الفاء، ولا بذلك الجواب المبني على سؤال، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا (مثلاً)، وهذه العبارة ليست نصًا في السببية، بل تحتملها وتحتمل أمرًا آخر، هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام. والقرائن وحدها هي التي تعيِّن أحد هذين الاحتمالين أو تُرجِّحه.

ومن هنا نعلم أنه إذا وردت عبارتان في موضوع واحد: إحداهما نص في السببية لنزول آية أو آيات، والثانية ليست نصًا في السببية لنزول تلك الآية أو الآيات هنالك نأخذ في السببية بما هو نصٌ، ونحمل الأخرى على أنها بيان لمدلول الآية لأن النصَّ أقوى في الدلالة من المحتمل.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

سابعًا: الملائكة والأعمال الصالحة

الحلقة الرابعة

إن الأعمال الصالحة تقربنا من الملائكة وتقرب الملائكة لنا، ومن الجدير بالذكر أن العمل لا يوصف بأنه صالح إلا إذا توافرت فيه شروط، هي: الإيمان والإخلاص والمتابعة، فعمل المشرك حابط عند الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، والعمل إن لم يكن خالصًا لله عز وجل يرد على صاحبه، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، والعمل ينبغي أن يكون موافقًا لسنة النبي ﷺ، وإلا رد على صاحبه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». ومن الأعمال الصالحة التي تشهدها الملائكة.

١- تسجيلهم للذين يحضرون لصلاة الجمعة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر». رواه البخاري.

٢- تسجيلهم للأقوال الطيبة:

فعن رفاعة بن رافع قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «سمع الله لمن حمده»، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «مَن المتكلم؟» قال: أنا، قال: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها».

والمتأمل في الحديث يجد أن عدد حروف هذه الكلمات أربعة وثلاثون حرفًا، وهؤلاء الملائكة يختلفون عن الملاكة التي تسجل عمل العبد- الرقيب والعتيد-.

٣- تنزلهم عند قراءة القرآن:

ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير، كان يقرأ القرآن في مربده (جرنه) فتحركت فرسه، كلما قرأ تحركت وكلما سكت سكنت، فخشي على ولده منها، فلما قام إليها وجد مثل الظله فوق رأسه فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى اختفت، ولما أخبر بذلك النبي ﷺ قال: «تلك الملائكة كانت تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم». رواه البخاري ومسلم.

٤- حضورهم مجالس العلم والذكر:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوهم، تنادوا هلموا إلى حاجتكم». قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا». والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع.

٥- شهودهم لصلاتي الفجر والعصر:

يقول جل شانه: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، ويقول ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

٦- إظلالهم للشهيد بأجنحتهم:

ففي غزوة أُحد لما استشهد عبد الله بن حرام رضي الله عنه ودخلت عليه أخته فاطمة تبكيه، قال لها النبي ﷺ: «تبكين أولا تبكين مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه».

٧- شهودهم لجنازة الصالحين:

لما مات سعد بن معاذ سيد الأنصار رضي الله عنه اهتز عرش الرحمن لموته وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة.

٨- تأمين الملائكة على تأمين الإمام:

إن الملائكة تؤمن مع الإمام، ففي حديث

«على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» حديث

نزلت الملائكة في غـــزوة بدر تقـــاتل مع المسلمين

بقلم/ أسامة سليمان

البخاري: «إذا قال الإمام: آمين، فإن الملائكة تقول في السماء آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وكذا في قول الإمام: «سمع الله لمن حمده» تقول الملائكة اللهم ربنا ولك الحمد، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فإن من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه».

٩- حمايتهم لمكة والمدينة من دخول الدجال:

يخرج الدجال فيطوف الأرض بسرعة المطر الذي استدبرته الريح، لكنه يُمنع من دخول مكة والمدينة لحماية الملائكة لهما، ففي الحديث: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال». رواه البخاري.

وفي الحديث أيضًا: «وليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق». رواه البخاري.

١٠- تؤمن على من دعا لأخيه بظهر الغيب:

ففي حديث مسلم: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثله».

١١- تقاتل مع المؤمنين:

يقول سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، ففي غزوة بدر ظل النبي ﷺ يدعو الله ويستغيث به ويطلب منه النصر والتمكين لعباد الله المستضعفين، حتى أنزل الله سبحانه الملائكة يقدمهم جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أبشر..... يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع». رواه البخاري. والنقع: هو الغبار.

وفي غزوة الأحزاب أيد الله المؤمنين بالملائكة، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾، والمقصود بقوله تعالى: ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة، وبعد الغزوة نزل جبريل على النبي ﷺ فقال له: «أوضعتم سلاحكم فإنا لم نضع سلاحنا بعد». فقال: إلى أين، فأشار إلى بني قريظة. رواه البخاري ومسلم.

١٢- يبشرون المؤمنين، وقد أخبرنا الله سبحانه أنهم بشروا إبراهيم عليه السلام بالذرية الصالحة، وبشروا زكريا عليه السلام بيحيى، وبشروا مريم عليها السلام بعيسى، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾، ويقول سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾، ويقول جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

١٣- حمايتهم للرسول ﷺ من كيد المشركين وأذى المجرمين، فعندما توعد أبو جهل النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا».

١٤- تُبلغ الرسول ﷺ السلام من أمته، فلقد وكل الله سبحانه ملكًا أعطاه سمع العباد بتبليغ الصلاة والسلام عليه ﷺ من أمته، فعن عمار رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى ملكًا أعطاه سمع العباد، فليس من أحد يصلي عليَّ إلا بلغنيها». رواه الطبراني في المعجم الكبير بإسناد حسن.

١٥- تنزل بعيسى عليه السلام آخر الزمان ليكسر الصليب ويُحرم الخنزير ويضع الجزية، يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، فنزوله عليه السلام علامة على اقتراب الساعة، وينزل عليه السلام شرقي دمشق عند المنارة البيضاء واضعًا كفيه على أجنحة ملكين.

والله من وراء القصد.

أطفال المسلمين كيف

الحلقة الخامسة والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

واجبات المعلم نحو تلاميذه(١)

١- أن يشفق على المتعلمين ويجريهم مجرى بنيه . قال ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم .. »(٢) .

٢- ألاَّ يقصد بالتعليم جزاءًا ولا شكورًا ، بل يقصد به وجه الله والتقرب إليه .

٣- ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، بل ينتهز كل فرصة لنصحه وإرشاده .

٤- أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرِّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

٥- أن يراعي مستوى الأطفال من الناحية العقلية ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولا يلقي إليهم أشياء فوق مستوى إدراكهم ، حتى لا ينفروا من التعليم ويتخبطوا فيما يفهمون .

٦- ألا يقبِّح في نفس المتعلم علوم غيره ، وينبغي أن يوسِّع على المتعلم طريق التعلم في غير علمه .

٧- ينبغي أن يُلقي إلى المتعلم القاصر (الضعيف) العلم الجليَّ اللائق به ، ولا يذكر له أنَّ وراءه تدقيقًا وهو يدخره عنه حتى لا تفتر رغبته ويضطرب عقله .

٨- أن يعمل المعلم بعلمه ، فلا يُكذِّب قولهُ فعلَه . قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] ، ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣].

(١٠٦) ويأمر ﷺ البنات بالحجاب والتستر إذا بلغن

الله عز وجل أمر النساء والبنات بالحجاب ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وقد نفذ النبي ﷺ أمر الله تعالى على نسائه وبناته ونساء المؤمنين ، حتى صار أمر الحجاب معروفًا لدى كل صغيرة وكبيرة من المسلمات ، حتى تقول عائشة رضي اللهُ عنها : تزوجني رسول الله ﷺ (خطبني) وأنا بنت ست سنين ، ودخل عليَّ وأنا بنت تسع سنين ، وكنت ألعب بالبنات (لُعَب) ، وكان لي صواحب (صديقات) يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمَّعن (يستَتِرْن) منه ، وفي لفظ : وعندي الجواري (البنات الصغار) فإذا دخل خرجن ، وإذا خرج دخلن !!(٣) .

فيا تاركي الحجاب ، معي هدية لمن أجاب ، لماذا كانت صديقات عائشة تختبئن وتستترن من النبي ﷺ وهو الشريف العفيف ؟ إن قلتم حياءً منه فما لكم لا تستحون ؟ وإن قلتم حجابًا منه فما لكم لا تعقلون ؟ وقد يخرج متفلسف علينا فجأة ، فيقول : هذه كانت عادات عند العرب ! فنقول له : إنها في سورة الأحزاب آية ، نسأل الله لك الهداية . ثم أقول أخيرًا لتاركة الحجاب : انظري إلى تلك البنت الصغيرة ، وإما أن تعطيها قُبْلة ، أو تأخذي منها صفعة ! تلك البنت هي أم كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب ، وكانت صغيرة ، فخطبها أمير المؤمنين عمر ، فقال أبوها إنها صغيرة ، فقيل لعمر : إنما يريد بذلك منعها ، فكلَّمه عمر ، فقال عليٌّ : أبعثُ بها إليك ، فإن رضيت فهي امرأتك ، فبعث بها إليه ، فذهب عمر ، فكشف عن ساقها ، فقالت : أرسِلْ (أي اترك ثوبي) ، فلولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك(٤) ! سبحان الله لا يخافون في الله لومة لائم .

لكن لم يفُت عمر نفسه (أن يلفت نظر المربين إلى أنه لا حرج من بروز البنت الصغيرة على الرجال أو دخولها عليهم عند أبيها في مجلسه لكي يؤخذ عنها فكرة عامة فلعلهم يخطبونها فيما بعد لأحد أبنائهم .

عن عمر بن الخطاب قال : أبرزوا الجارية التي لم تبلغ ، لعل بني عمها أن يرغبوا فيها(٥).

وبالطبع ، هناك فرق شاسع بين مدلول كلام عمر (وبين مفهوم التي تترك وجهها كاشفًا حتى بعد البلوغ لتعرض نفسها على من لم يصبه الدور ، ومن لم يحالفْه الحظ ، لعله يجد فيها بُغْيَتَه ، وتكون يومًا زوجتَهْ . والله المستعان .

رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

إعداد/ جمال عبد الرحمن

(١٠٧) ويأمرهم ﷺ بالزواج متى بلغوا وقدروا على تكاليفه

عن عبد الله بن مسعود (قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »(٦) .

وقد أهديت عائشة رضي اللَّهُ عنها وهي بنت تسع سنين ، وخطب عمر (أم كلثوم بنت عليٍّ) وهي جارية تلعب مع الجواري . فالزواج المبكر حصن ورعاية ، وعفة ووقاية .

ونبينا صلوات الله وسلامه عليه ، يريد للشباب ألا ينحرف أو يضيع وينجرف ، ويكون فريسة سهلة للشياطين والمنحرفين ، فلذلك حثهم على الزواج لمن استطاع الباءة ، وهي تكاليف الزواج والقدرة عليه ، فإن في الزواج تحصينًا وحفظًا للفرج ، وإشباعًا للعين لتكون غاضَّة عن محارم الله وحرماته ، ونساء الناس وأعراضهم، فيكون الزواج بذلك وجاءًا ؛ أي وقاية ومنعًا من الوقوع في الزلل .

وإذا كان الولد محتاجًا إلى النكاح ، والأب أو من يقوم مقامه قادر على تزويجه ؛ لزمه ذلك ، لما فيه من تحصينه وإعفافه عن الوقوع في الحرام . قال ابن قدامة رحمه الله : « ويَلزَم الرجل إعفاف ابنه ، إذا احتاج إلى النكاح ، وهذا ظاهر مذهب الشافعي »(٧) .

وكذلك يجب أن يزوج ابنته التي بلغت سنًا تحتاج فيه إلى الزواج لإعفافها ، وأن يلتمس لها الزوج الصالح ، فلا فرق بين الابن والبنت في وجوب إعفافهما .

والنبي ﷺ يقول : « ثلاثة حقٌ على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله»(٨) .

(١٠٨) فإذا بلغوا علمهم ﷺ الأمانة وتحمل المسئوليات

لا شك أن الطفل لن يظل طفلاً ، بل سيأتيه اليوم الذي فيه يبلغ ويصير مكلَّفًا مسئولاً ، فإذا كان يعمل في مال أبيه فهو راعٍ ومؤتمن ومسئول أمام الله عز وجل يوم القيامة عن هذا المال ، فعن ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال : وأحسب النبي ﷺ قال : « والرجل في مال أبيه راع ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(٩) .

إذن فالولد أمين في مال أبيه ، والنبي ﷺ يؤكد على جانب الأمانة عند الصبي لتتأصل فيه.

فما الذي يشغل بالكم من الأعاجيب يا شباب الزمن الآخر ؟! أهي حضارة الغرب وتفسُّخه ، أم الإباحية التي يطلقونها بلا حدود ، والمتعة والشهوة التي يمارسونها بلا شروط ولا قيود ؟ نسأل الله السلامة والعافية.

الهوامش:

(١) انظر التربية الإسلامية للإبراشي ص ١٤٥ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ج١ ح٣١٨ . والبيهقي ج١ ح٥٠٠ . والدارمي ج١ ح٦٤٧، والنسائي ج١ ح٤٠ . وابن حبان في صحيحه ج٤ ح١٤٤٠ .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٦٥ . والنسائي ،كتاب النكاح ٣٣٢٥ . وأبو داود كتاب الأدب ٤٢٨٣ .

(٤) مصنف عبد الرزاق وسنن سعيد بن منصور وابن أبي عمرو . قاله ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير ج٣ ح ١٤٨٤ .

(٥) مصنف عبد الرزاق / ١٥٦/٦ باب : إبراز الجواري والنظر عند النكاح .

(٦) البخاري ،كتاب النكاح ٤٦٧٧ . ومسلم ، كتاب النكاح ٢٤٨٥ . والترمذي ، كتاب النكاح ١٠٠١ ،و النسائي ، كتاب الصيام ٢٢٠٦ . وأبو داود ، كتاب النكاح ١٧٥٠ . وابن ماجة، كتاب النكاح ٢٨٣٥ . وأحمد مسند المكثرين من الصحابة ٣٤١١، والدارمي، كتاب النكاح ٢٠٧١ .

(٧) المغني ٢١٦/٨ .

(٨) صحيح سنن النسائي ج٢ ح٣٢١٨ . وابن حبان في صحيحه ج٩ ح٤٠٣٠ . والحاكم في المستدرك ج٢ ح٢٨٥٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يُخْرجاه .

(٩) البخاري ،كتاب العتق ٢٣٧١ ، وكتاب الاستقراض وأداء الديون ٢٢٣٢ . وأحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ٥٧٥٣ .

«خلق أفعال العباد» للإمام البخاري

إعداد / علاء خضر

المؤلف: الإمام الحافظ الفقيه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي - مولاهم - البخاري، صاحب الجامع الصحيح.

مولده: ولد عام ١٩٤هـ، ببخارى.

ذكر محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبدالله: كيف كان بدء أمرك ؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتاب، فقلت: كم كان سنك ؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، يقول: فلما طعنت في ستة عشر سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء - يعني به أصحاب الرأي- ثم خرجت مع أمي وأخي إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها - يعني أمه - وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ - يعني به الكبير.

أخذ العلم عن كثيرين، منهم الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وروى عنه خلق من أشهرهم: الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو عيسى الترمذي صاحب السنن، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام المشهور، قال عنه حاتم بن مالك الوراق: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقهينا وفقيه خراسان، وقال الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثله كأنه لم يُخلق إلا للحديث.

وفاته: توفي سنة ٢٥٦هـ بسمرقند.

موضوع الكتاب

الرد على أهل التعطيل ومقالاتهم من الجهمية والمعتزلة الذين عطلوا صفات الباري وقالوا: إن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن أفعال العباد غير مخلوقة ... وغيرها من المقالات الفاسدة.

أهمية الكتاب

- يذكُر مقالات الجهمية والمعتزلة ويرد عليها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

فهو من الكتب المسندة التي أقرت عقيدة السلف في إثبات الصفات وأن القرآن كلام الله لفظًا ومعنى وأن الله يُرى في الآخرة وأن الله فوق عرشه استوى وغيرها من العقائد التي نقلها الإمام البخاري عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين بالأسانيد الصحيحة والمقبولة.

منهج المؤلف

قسم البخاري الكتاب إلى جزأين، الجزء الأول منه في خلق أفعال العباد، والجزء الثاني في الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل.

يُورد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين بأسانيدها تحت عناوين دالة على المعنى المراد من إيراد ذلك النص.

أهم ما جاء في الكتاب

بدأ المؤلف بـ «باب ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يُبدلوا كلام الله عز وجل».

نقل الإمام البخاري في هذا الباب قول السلف في أن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، والقول بأن الله فوق عرشه بائن من خلقه، والقول برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، والأدلة على بقاء الجنة والنار وأنهما لا تفنيان، وذكر مقالات الجهمية وقولهم إن القرآن مخلوق، ونفيهم لعلو الله سبحانه وتعالى، وقولهم إن الله في كل مكان بذاته، وهذا قول الجهمية الأوائل والمتأخرين منهم غلوا وتناقضوا فقالوا إن الله لا داخل ولا خارج العالم ولا منفصل عنه ولا متصل به.

وقولهم بفناء الجنة والنار، واعتقادهم أن الجنة والنار غير مخلوقة الآن، وإذا خلقتا تفنيان، وذكر شيئا من أحوال جهم بن صفوان مؤسس هذه الفرقة الضالة والتي تنسب إليه، وعمن أخذ هذه المقالات، ولمن ورّثها ورد السلف على هذه المقالات والتحذير منها، ونقل الإمام البخاري رحمه الله عن السلف تكفير الجهمية وتكفير من قال بأقوالهم.

فنقل الإمام البخاري عن سفيان بن عيينة قوله: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وعن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم الأضحى قال: ارجعوا فضحوا فإن مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا !! تعالى الله علوا كبيرًا عما يقول

الجعد بن درهم ، ثم نزل فذبحه .

قال أبو عبد الله : قال قتيبة : بلغني أن جهمًا كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم .

وقال الثوري : مَن قال القرآن مخلوق فهو كافر.

وحذر يزيد بن هارون من الجهمية فقال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي وقال وكيع: لا تستخفوا بقولهم: القرآن مخلوق فإنه من شر قولهم وإنما يذهبون إلى التعطيل.

وعن يحيى بن أيوب قال : قال ابن المبارك: كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية.

وذكر البخاري حديث جرير عن النبي ﷺ إنكم راؤون ربكم فقال يزيد: من كذب بهذا فهو بريء من الله ورسوله.

ثم ذكر الإمام البخاري أحاديث عن النبي ﷺ أثبت فيها أن القرآن كلام الله منها حديث جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه...؟ فإن قريش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي».

وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم ، والأصم ، والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق.

وفي باب «أفعال العباد» ذكر الإمام البخاري آثار وأحاديث عن الصحابة والتابعين وأقوال العلماء في أن أفعال العباد مخلوقة وأن للإنسان فعل قائم به يثاب أو يعاقب عليه وأنها غير أفعال الله وليس كما تزعم الجهمية الذين قالوا إن الأفاعيل كلها من الله وأنه ليس للإنسان فعلٌ أصلا وأنه مجبور على أفعاله، أو القدرية النفاة الذين أنكروا علم الله وقالوا: إن الإنسان هو خالق أفعال نفسه.

وذكر حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وتلا بعضهم عند ذلك قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة.

وعن طاووس اليماني قال : أدركت ناسًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول اللّه ﷺ: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس.

وعن يحيى بن سعيد قال : مازلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، قال أبو عبد الله : حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فاما القرآن المتلو المبين المثبت في المصحف المسطور المكتوب الموعي في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق ، قال الله: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾.

وفي باب الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل قال الإمام البخاري: ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بمخلوق وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت، وأن أفعال العباد مخلوقة.

وفي باب قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة بالجهر: أراد الإمام البخاري من هذا الباب إثبات أن قراءة القارئ وتلاوته غير المقروء والمتلو.

عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن» فبين أن الصوت غير القرآن.

فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود وقوله: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ هو قرآن، وكذلك جميع القرآن هو قوله، والقول صفة القائل موصوف به فالقرآن قول الله عز وجل، والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق لقوله: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل:٢٠]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ [فاطر:٢٩].

ثم ختم كتابه بباب قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

يثبت الإمام البخاري أن التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء وأتى بآثار وأحاديث الباب.

(قلت) : قبل زمن البخاري لم يتكلم أحد بتفصيل في قول القائل «لفظي بالقرآن مخلوق» حتى قال الإمام البخاري بالتفصيل فقال عندما سئل عن قول القائل «لفظي بالقرآن مخلوق»، قال: القرآن كلام الله وأفعالنا مخلوقة وامْتُحِن في ذلك وحدث بينه وبين الذهلي مناظرة كبيرة وعظيمة في اللفظ، وأصبح قول البخاري في مسألة اللفظ هو القول الصحيح الذي استقر عليه أهل السنة والجماعة، قال الإمام ابن القيم في النونية:

وتلاوة القرآن في تعريفها
بااللام قد يعني بها شيئان
يعني به المتلو فهو كلامه
هو غير مخلوق كذي الأكوان
ويراد أفعال العباد كصوتهم
وأدائهم وكلاهما خلقان
هذا الذي نصت عليه أئمة الإسـ
ـلام أهل العلم والعرفان
وهو الذي قصد البخاري الرضى
لكن تقاصر قاصر الأذهان

والحمد لله رب العالمين.

الثبات على الإيمان

إعداد / عادل عبد الرحمن محمد

في وقت تمر الأمة فيه بمراحل حرجة من حروب وفتن ربما لو فكر فيها الرجل العاقل لشرد ذهنه وانخلع قلبه مما يرى، ولكن اعلم أخي المسلم أن الثبات على الحق والتمسك به من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ وقدوتنا في ذلك هو رسول الله ﷺ فقد لاقى ما لاقى ومع ذلك كان أشد ثباتًا حتى بلغ رسالة ربه على أتم وجه.

فاحذر أخي من الانتكاس بنوعيه؛ الكلي: وهو الردة، والجزئي: وهو ترك شيء من الدين ببعض الحجج الواهية، فإن الانتكاسَ مَذْمُوم. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وقال ﷺ: تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين، قلب أبيض كالصفا، وقلب أسود مربادا كالكوز مجخيا (أي مقلوبًا) لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا. وهذه صفة أهل النار ويقول ﷺ. «تعس عبد الدينار. تعس عبد الدرهم. تعس عبد الخميصة. تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش».

ومن المعروف أن الدينار مملوك والعبد مالك للدينار فكيف يكون الدينار هو المالك والعبد هو المملوك؟

من ذلك يتبين لنا أن العبد إذا انشغل بجمع الدينار وتركَ عبادة الله كان عبدًا للدينار من دون الله ولذلك يدعو الرسول ﷺ على هذا الصنف فيقول «تعس وانتكس».

وأعجب من ذلك أن يكون المال سببًا في الانتكاس الكلي وهو الردة، فقد ثبت عند الإمام مسلم أن الرسول ﷺ أرسل عمر رضي الله عنه لجمع الزكاة فذهب إلى ابن جميل وكان فقيرًا فأغناه الله فطلب عمر منه الزكاة فمنع ولم يعترف بها قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٥٥-٥٧]

فاحذر أخي المسلم من هذا المرض الذي أصاب كثيرًا من أبناء الأمة، أما تخشى أن يصيبك قول الله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾.

لقد ضرب صحابة رسول الله أروع الأمثلة في الثبات فنالوا بذلك الدرجات العلا، فها هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو حبسه أبوه وقيده بالسلاسل وعذبه وهو حديث عهد بالإسلام لكنه ثبت، بل استطاع أن يفك بعض السلاسل وذهب إلى رسول الله ﷺ في الحديبية وكان من شروط صلح الحديبية أنه من جاء مسلمًا من قريش ردوه إليها فرده رسول الله ﷺ فرجع أبو جندل ولم ينتكس بل ثبت على إيمانه حتى لحق برسول الله ﷺ فقيرًا وترك كل ماله لأنه عرف الحق فاتبعه.

- واعلم أخي أن الانتكاس سبب لسوء الخاتمة، وأهل الباطل يقفون لأهل الحق على طول الطريق يريدون أن ينالوا منهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فلا تنخدع بالشعارات الكاذبة فإنها أوهام، واسأل الله الثبات فقدوتك في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان يكثر من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وأكثر من الدعاء فهو سلاح المؤمن، وعليك بالعلم فهو الحصن الحصين من البدع وكلما ازددت علمًا فازْدَدْ للهِ خشيةً وخوفًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

والحمد لله رب العالمين

أسئلة القراء عن الأحاديث

كتبه/ أبو إسحاق الحويني

يسأل القارئ: إسماعيل كمال السيد - العريش، شمال سيناء فيقول: قرأت في تفسير «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي في أثناء تفسيره لسورة يوسف قوله: «واعلم أن بعض الحشرية روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما كذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات». فقلتُ: الأولى أن لا نقبل مثل هذه الأخبار. فقال على طريق الاستنكار: فإن لم تقبلْهُ لزمنا تكذيبُ الرواة؟ فقلت له: يا مسكين! إن قبلناه لزمن الحكمُ بتكذيب إبراهيم عليه السلام، وإن رددناه لزمن الحكمُ بتكذيب الرواة، ولا شك أن صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب». انتهى كلام الفخر الرازي، وسؤالي: هل ما قاله الفخر صحيح مع أنني أعلمُ أن الحديث صحيح وهو في البخاري على ما أذكر؟

والجواب بحول الملك الوهاب:

فاعلم أيها السائلك - أيدك الله - أن الجواب من وجوه:

الوجه الأول: أنه من المتفق عليه عند سائر العقلاء أنه يُرجع في كل علم إلى أهله، ويقضي لهم على غيرهم، فيُقضى للمحدثين في الكلام على الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، ويُقضى للفقهاء في الفقه، وللنحاة في النحو هكذا فإذا علمنا ذلك، فينبغي أن لا يقبل كلام الفخر الرازي في الحكم على الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، لأنه مزجي البضاعة في الحديث، تام الفقر في هذا الباب، وقد قضى الرجل حياته في محاربة السحت، ووضع الأصول الفاسدة لردها، وقد اعترف في آخر حياته بندمه على عمره الذي أنفقه في هذا الخطل. قال الذهبيُّ في «سير النبلاء» (٥٠١/٢١): «وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، وسحرٌ وانحرافات عن السُّنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر».

الوجه الثاني: أن الحديث صحيح لا ريب فيه وقد ورد عن أبي هريرة وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخُدْري وغيرهم.

أمّا حديث أبي هريرة، فيرويه عنه اثنان:

أولهما: الأعرج، عنه مرفوعًا: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قولُه حين دُعي إلى آلهتهم (إني سقيمٌ) وقولُه (فعله كبيرهم هذا) وقولُه لسارة: إنها أختي». قال: «ودخل إبراهيمُ قريةً فيها ملك من الملوك أو جبارٌ من الجبابرة - فقيل: دخل إبراهيمُ الليلة بامرأةٍ من أحسن الناس. قال: فأرسل إليه الملك - أو الجبارُ - : من هذه معك؟ قال: أختي. قال: أرسل بها. قال: فأرسل بها إليه، وقال لها: لا تكذبي قولي، فإني قد أطبرتُهُ أنك أختي، إنْ على الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك. قال: فلما دخلت إليه قام إليها، قال: فاقبلت توضأ وتُصلي، وتقولُ: اللهم إن كنت تعلمُ أني آمنتُ بك وبرسولك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ الكافر. قال: فغُطَّ حتى ركض برجله. قال أبو الزنادك قال أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنها قالت: اللهم إنه إن يمت، يُقل: هي قتلته، قال: فأُرسل، ثم قام إليها، فقامت توضأ وتصلي... ثمم حدث هذا ثلاث مراتٍ. فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إليَّ إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها هاجر. قال: فرجعت، فقالت لإبراهيم: أشعرت أن الله تعالى ردَّ كيد الكافر، وأخدم وليدة، أخرجه أحمد (٩٣٤١) قال: حدثنا عليُّ بن حفص، عن ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا. وأخرجه البخاريُّ في «البيوع» (٤١٠/٤-٤١١)، وفي «الهبة» (٢٤٦/٥)، وفي «الإكراه» (٣٢١/١٢) قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، ثنا أبو الزناد

بهذا الإسناد، وهو مختصرٌ في الموضع الثاني والثالث واقتصر في الموضع الأول على قصة سارة. وأخرجه النسائيُّ في «المناقب» (٩٨/٥ـ الكبرى) عن علي بن عياش، نا شعيب بن أبي حمزة بهذا الإسناد ـ وأخرجه الترمذيُّ (٣١٦٦) عن محمد بن إسحاق عن أبي الزناد بهذا دون قصة سارة.

ثانيهما: محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، ويرويه عن ابن سيرين ثلاثة:

١ ـ أيوب السختياني، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا: «لم يكذب إبراهيمُ النبيُّ عليه السلامُ قطُّ إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله. قولُهُ (إني سقيم) وقولُهُ: (بل فعله كبيرهم) وواحدةٌ في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس... وساقَ الحديث بنحو حديث الأعرج. أخرجه البخاريُّ في «النكاح» (١٢٦/٩) قال: حدثنا سعيد بن تليد ـ ومسلمٌ في «الفضائل» (١٥٤/٢٣٧١) قال: حدثني أبو الطاهر، قالا: ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن أيوب السختياني، عن ابن سيرين بهذا.

واللفظ لمسلم، وأورده البخاريُّ مختصرًا وأحال على حديث حماد بن زيد الآتي. ورواه حماد بن زيد، عن أيوب السختياني بسنده سواء لكنه أوقفه على أبي هريرة ولم يذكر فيه رسول الله ﷺ. أخرجه البخاريُّ في «النكاح» (١٢٦/٩)، والبيهقيُّ (٣٦٦/٧) عن سليمان بن حرب. والبخاريُّ أيضًا في «أحاديث الأنبياء» (٣٨٨/٦) قال: حدثنا محمد بن محبوب، كلاهما عن حماد بن زيدٍ، عن أيوب بهذا الإسناد في أيوب، فرواية جديد بن حازم عن أيوب صحيحة أيضًا، لأن محمد بن سيرين كان يوقف كثيرًا من حديثه مع كونه مرفوعًا، وهذا معروفٌ عنه، فكان ابن سيرين كان يرفعه، ثم لا ينشط فيوقفه، فتلقاه عنه أيوب على الوجهين. فإن قلت: فإن جرير بن حازم قد تكلم فيه ابن حبان وقال: «كان يخطئ لأنه كان يحدّث من حفظه». فلعلَّه أخطأ في هذا الحديث ورفعه، وقت خالفه حماد بن زيد وهو أثبت منه فأوقفه. قلتُ: أمَّا جرير بن حازم فقد وثقه ابن معين، والعجليُّ، وقال أبو حاتم: «صدوق». وقال النسائيُّ «لا بأس به» وقال أبو حاتم: «تغيَّر قبل موته بسنةٍ». ولكن هذا التغير لا يضرُّهُ، فقد قال عبد الرحمن بن مهدي: «اختلط، وكان له أولادُ أصحابُ حديثٍ، فلما أحسوا ذلك منه حجبوه فلم يسمع منه أحدٌ شيئًا حال اختلاطه». وما ذكره ابن حبان فملازمٌ لكثيرٍ من الثقات الأثبات، وأنهم كانوا يخطئون في بعض ما رووه، ولا يضرهم مثل هذا، ولذلك قال الذهبيُّ: اغترفت أوهامه في سعة ما روى» واختيارُ الشيخين لحديثٍ من روايته دالٌّ على أنه لم يهم فيه، ومما يدلُّ على أن الحديث مرفوعٌ من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أن هشام بن حسَّان وهو من أثبت الناس في ابن سيرين، قد رواه عنه، عن أبي هريرة مرفوعًا.

فأخرجه أبو داود (٢٢١٢) عن عبد الوهاب الثقفي. والنسائيُّ (٩٨/٥ ـ الكبرى) عن أبي أسامة حماد بن أسامة، وابنُ حبان (٥٧٣٧) عن النضر بن شميل ثلاثتهم عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاثٍ: ثنتين في ذات الله... وساق الحديث. وخالف هؤلاء الثلاثة: مخلد بن الحسين، فرواه عن هشام بن حسان بهذا الإسناد إلا أنه قال: «كلهنَّ في الله» يعني: الكذبات الثلاثة. أخرجه أبو يعلى (٦٠٣٩) قال: حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرميُّ، ثنا مخلد بن الحسين بهذا. وهذه رواية شاذَّةٌ أو منكرة، والصواب ما اتفق عليه الثقات أن ثنتين من هذه الثلاث كُنَّ في الله عز وجل، وليست عهدة الوهم على مخلد بن الحسين، فإنه ثقة عاقل كيس، وكان هشام بن حسَّان زوج أمِّه. ولكن الشأن في الراوي عنه وهو شيخ أبي يعلى، فقد قال ابنُ حبان: «ربما أخطأ». وقال الأزديُّ: «حدَّث بأحاديث لا يتابع عليها» وقال البيهقيُّ: «غيرُ قويٍّ». وقد وثقه الخطيب، ولو وجدنا له متابعًا لأمكن حمل روايته على معنى مقبول ذكرتُهُ في «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد» (٢٠٠٣) لا يتسع المجال هنا لذكره.

٣ ـ أما الراوي الثالث الذي رواه عن ابن سيرين، فهو عبد الله بن عون. فأخرج هذه الرواية: النسائيُّ (٩٨/٥) من طريق النضر بن شميل، عن عبد الله بن عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة فذكره موقوفًا. ولا تخالف بين روايته ورواية الرفع لما قدمنا أن ابن سيرين كان يرفعه ويوقفه، وليست هذه علة تقدح في الرواية. فهذا ما يتعلق بحديث أبي هريرة، وهو صحيحٌ لا ريب في ذلك، وقد اتفق عليه الشيخان من رواية ابن سيرين عنه.

أمّا حديثُ أنسٍ رضي الله عنه، فأخرجه النسائيُّ في «التفسير» (١١٤٣٣ ـ الكبرى) قال: أخبرنا الربيع بن محمد بن عيسى، ثنا آدم ـ هو

ابنُ أبي إياس ـ، ثنا شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية، ثنا قتادة، عن أنس مرفوعًا: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة... فذكر حديث الشفاعة، وفيه: «فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هناكم، ويذكرُ كذباته الثلاث: قولُهُ: (إني سقيمٌ) وقوله: (فعله كبيرهم هذا) وقوله لسارة حين أتى على الجبار، أخبري أني أخوك، فإني سأخبرُ أنا أنك أختي، فإنَّا أخوان في كتاب الله، ليس في الأرض مؤمنٌ ولا مؤمنة غيرنا... الحديث». وإسنادُهُ قويٌ. وشيخ النسائي لا بأس به كما قال تلميذه النسائيُّ وبقية رجال الإسناد ثقاتٌ معروفون وأمَّا حديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه مرفوعًا فذكر حديث الشفاعة وفيه: «فيأتون إبراهيم... فيذكره بنحو حديث أنس الفائت. أخرجه الترمذيُّ (٣١٤٨) قال: حدثنا ابنُ أبي عمر. وأخرجه أبو يعلي (١٠٤٠) قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسيّ قالا: ثنا سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وقل اختلف في إسناده، فرواه حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عنه أبي نضرة، عنه ابن عباس مرفوعًا فساق حديث الشافعة بطوله.

أخرجه أحمد (٢٨١/١ ـ ٢٨٢) قال: حدثنا عفان بن مسلم، وأيضًا (٢٩٥/١ ـ ٢٩٦) قال: حدثنا حسن بن موسى. وأبو يعلي (٢٣٢٨) قال: حدثنا هدبة بن خالد والبيهقيُّ في «الدلائل» (٤٨١/٥ ـ ٤٨٣) عن هدبة وأبي داود الطيالسيّ قال أربعتهم: ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بهذا الإسناد.

جعله من «مسند ابن عباس»، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيفُ الحديث، والحديث عندي من «مسند ابن عباس» أشبه، ورواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد متماسكة كما يشير إلى ذلك قول أبي حاتم الرازي أن حماد بن سلمة كان أعرف بحديث علي بن زيدٍ من غيره، وهذا لا يعني تصحيح حديثه كما لا يخفى والله أعلم.

قُلْتُ: فقد ظهر لك ـ أيها المسترشد ـ أن الحديث صحيحٌ على طريقة أهل الحديث الذين هم فرسان هذا الميدان، وإليهم فيه المرجع والشأن.

الوجه الثالث: أن العلماء الذين مرَّ عليهم هذا الحديث قبل أن يخلق الفخر الرازي فسروه تفسيرًا مستقيمًا، ولم ينصبوا التعارض فيه بين صدق إبراهيم عليه السلام وصدق الرواة. فقال الحافظ في «الفتح» (٣٩٢/٦): «قال ابنُ عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به، ليعلم صدقُ ما جاء به عن الله عز وجلَّ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق ذلك عليه لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر من إبراهيم عليه السلام إلا في حال شدة الخوف لعلوِّ مقامه، وإلا فالكذبُ المحضُ في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما، وأمَّا تسميته إياها كذباتٍ، فلا يريد أنها تذمُّ، فإن الكذب وإن كان قبيحًا مخلا، لكنه قد يحسنُ في مواضع، وهذا منها». انتهى. وهذا ما يُسمى عند العلماء بالمعاريض وهي مباحة. وقد حاول الفخر الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ أن يتخلص من دلالة الآية على معنى التعريض بوجوهٍ ضعيفةٍ وقد قال (١٨٦/٢٢) وهو يذكر هذه الكذبات: «وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلا، فحينئذٍ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا زنديق». انتهى. ونحن نقول له: المسألة لفظية لا حكمية، ولا يوجد مسلمٌ بحمد الله يجرؤ على تكذيب نبيٍّ، ولم يقل بهذا واحدٌ قط، فإذا كانت المسألة لفظية فما الذي حمل الفخر الرازي على ردِّ الحديث بمثل هذه الشقاشق؟!

الوجه الرابع: «... أولى من صون طائفةٍ من المجاهيل..».

والمجهول عند أهل الحديث قسمان: أحدهما مجهول العين، وهو من لم يرو عنه إلا واحدٌ. والثاني: مجهول الحال وهومن لم يأت فيه توثيق معتبرُ، فإذا علمت ذلك؛ فقد روى هذا الحديث: أبو هريرة، ومحمد بن سيرين، والأعرج، وأبو الزناد، وشعيب بن أبي حمزة، ومحمد بن إسحاق، وورقاد بن عمر، وأيوب السختياني، وهشام بن حسان، وعبد الله بن عون وحماد بن زيد، وجرير بن حازم وغيرهم ممن ذكرنا، فمن من هؤلاء يمكن إطلاق اسم الجهالة عليه وهم أئمةٌ ثقاتٌ معروفون؟!

فاللهم غفرًا. وللفخر الرازي مواضع في «تفسيره» أنكر فيها أحاديث صحيحة لعلنا نتعرض لبعضها إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة
« الثانية والأربعون »

قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي ﷺ

بقلم
علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في كتب التفاسير بل وجعلت هذه القصة من أسباب نزول الآية (٣٠: الأنفال) في حدث الهجرة، وهذه القصة تضاف إلى سلسلة القصص الواهية حول الهجرة والتي سبق تقديم البحوث العلمية الحديثية حولها:

١- قصة «ثعبان الغار» عدد جمادى الأولى ١٤٢١هـ رقم (١).
٢- قصة «عنكبوت الغار والحمامتين» عدد محرم ١٤٢٢هـ رقم (٦).
٣- قصة «غناء بنات النجار» عدد محرم ١٤٢٣هـ رقم (١٨).
٤- قصة «لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة» عدد محرم ١٤٢٤هـ رقم (٢٩).

وإلى القارئ الكريم هذه القصة الواهية قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته النبي ﷺ.

أولاً: متن القصة

قال أبو طالب للنبي ﷺ: ما يأتمر به قومك؟

قال: يريدون أن يسجنوني ويقتلوني ويخرجوني فقال من أخبرك بهذا؟

قال ربي - قال نعم الرب ربك - فاستوص به خيرًا- فقال رسول الله ﷺ أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي خيرًا- فنزلت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قلت: هذا لفظ رواية شيخ المفسرين ابن جرير الطبري واستيفاءً لمتن هذه القصة نبين للقارئ متن القصة بلفظ رواية ابن أبي حاتم حيث جاء فيه: أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: هل تدري ما ائتمر فيه قومك؟ قال: نعم ائتمروا أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني، قال: من أخبرك هذا ؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيرًا. قال: أنا أستوصي به أو يستوصي بي؟

ثانيا: التخريج

القصة أخرجها شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في «تفسيره» المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن» (٦/٢٥١ ط دار الغد) (ح١٥٩٧٧) (ح١٥٩٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٨٨) (ح٨٩٩٨).

فائدة:

حتى لا يتقول علينا متقول ويتوهم الصحة من إخراج شيخ المفسرين ابن جرير للقصة وابن أبي حاتم وسكوتهما عنها، ولكن هيهات، فالقاعدة: «من أسند فقد أحال»، وبالتحقيق يستبين لك الحال.

ثالثا: التحقيق

القصة واهية، والحديث منكر، ومعلل متنًا وسندًا، يظهر ذلك بجمع طرق الحديث الذي جاءت به هذه القصة.

١- قال ابن جرير الطبري (ح١٥٩٧٧): حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالوساوسي قال: حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ ما يأتمر به قومك.. القصة».

٢- وقال ابن جرير (ح١٥٩٧٨): حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج قال: قال ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك؟.. القصة.

تحقيق الطريقين

١- قلت: الطريق الأول سنده تالف فيه عبدالمجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٦٠): «منكر الحديث جدًا، يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك».

وعلة أخرى: تدليس ابن جريج حيث أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين»، وهذه الطبقة قال فيها الحافظ: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقًا».

ولذلك قال الحافظ ابن حجر: «ابن جريج وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدارقطني: شر التدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح». اهـ.

٢- قلت: فإن قيل في الطريق الثاني متابعة لعبد المجيد في روايته عن ابن جريج حيث تابعه حجاج فهي متابعة أوهن من بيت العنكبوت، للعلل الآتية:

أ- أورد الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٦/٣٥٩) عن جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد، إذا قال ابن جريج: حدثني فهو سماع وإذا قال: أخبرني فهو قراءة، وإذا قال: قال فهو شبه الريح». اهـ.

قلت: وفي هذا الطريق (قال ابن جريج: قال عطاء) إذن فهو شبه الريح.

ب- والحديث من هذا الطريق مرسل عن عبيد بن عمير ولم يوجد الصحابي المطلب بن أبي وداعة.

جـ- وهناك انقطاع في السند «حجاج، قال ابن جريج».

٣- وفي رواية ابن أبي حاتم متابعة أخرى لعبد المجيد في روايته عن ابن جريج حيث تابعه هشام بن يوسف فهي متابعة واهية وإن صرح بالتحديث لابن جريج حيث إن الحديث مرسل من هذا الطريق أيضًا: (عن عبيد بن عمير أن أبا طالب قال للنبي ﷺ).

ولذلك ترجم ابن أبي حاتم للمطلب بن أبي وداعة في «الجرح والتعديل» (٤/١/٣٥٨) ترجمة (١٦٤١) قال: «المطلب بن أبي وداعة له صحبة». ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه.

قلت: كذلك الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٨/١٥٢/٦٦٠٠) ترجم له ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه.

فالحديث معلل والقصة واهية، ولقد بيّنا الطريق إلى معرفتها بجمع طرق القصة والنظر في اختلاف الرواة، ولكن لا يمكن الموازنة بين ضبطهم وإتقانهم للحكم على الرواية المعلولة، حيث لا ضبط ولا إتقان في جميع الروايات؛ لأن هناك علة في «المتن» في جميع الروايات.

رابعا: علة المتن

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١١١): «ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها

كون الحديث موضوعًا»، فمنها (١٩): «ما يقترن بالحديث من القرائن التي يُعلم بها أنه باطل».

قلت: بتطبيق هذه القاعدة على هذه القصة نجد أن هناك قرينة تدل على أن القصة باطلة، ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن كثير في «تفسيره» (٣٠٢/٢) عند تفسير الآية (٣٠: الأنفال) من رواية ابن جريج ثم بيَّن الحافظ ابن كثير علة القصة متنًا فقال: «وذِكر أبي طالب في هذا غريب جدًا بل منكر ؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو ثلاث سنين، لمّا تمكنوا منه واجترؤا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه».

خامسًا: التصحيف

فائدة: عند البحث في «تفسير ابن كثير» وجدنا أن الإمام ابن كثير عزا القصة إلى تفسير ابن جرير وبالاطلاع على سند ابن جرير في أكثر طبعات ابن كثير مثل طبعة دار إحياء الكتب العربية (البابي الحلبي) وطبعة دار والي المكتوب عليها طبعة جديدة - مضبوطة، محققة- معتنى بإخراجها أصح الطبعات وأكثرها شمولاً. اهـ. وجدت بالاطلاع أن السند فيه تصحيف يؤدي إلى فساد البحث في رجاله.

وإلى القارئ الكريم هذا السند في الطبعات التي يزعم أصحابها أنها أصح الطبعات وأنها مضبوطة ومحققة:

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالوساوسي، أخبرنا عبد الحميد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال (فذكر القصة).

قلت: بالمقارنة بين هذا السند الذي في طبعات ابن كثير لرواية ابن جرير وبين الأصل وهو تفسير ابن جرير نجد:

١- أن شيخ ابن جرير وهو محمد بن إسماعيل البصري الوساوسي صُحِّف إلى محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالوساوسي.

٢- وشيخ ابن جريج وهو عبد المجيد بن أبي رواد حدث له تصحيف إلى عبد الحميد بن أبي داود.

قلت: وهذا أمر خطير يجب أن يتنبه إليه من يريد البحث فلا يعتمد على التخريج بالواسطة، بل يجب عليه الرجوع إلى الأصل كما بينا في عدد رمضان في هذا العام وبراءة أبي الدرداء من الذكر البدعي وكان ظاهر السند الصحة في تفسير ابن كثير ولكنه في الحقيقة به تصحيف بكشفه تبين أن القصة واهية وأقصد بقولي «الرجوع إلى الأصل» أي: الأصول التي عزا إليها ابن كثير الأحاديث، ففي هذه القصة: قصة أبي طالب في الهجرة عزاها إلى ابن جريج في «تفسيره» وفي رمضان قصة أبي الدرداء عزاها إلى عبد الرزاق في تفسيره، وأسأل الله أن يوفقنا لتحقيق أسانيد تفسير ابن كثير بالمقارنة بالأصول، ثم الحكم على المسند، ثم الحكم على الحديث بعد الاعتبار لمعرفة المتابعات والشواهد وكشف العلل.

سادسًا: بدائل صحيحة للهجرة:

لقد بوّب الإمام البخاري في «الصحيح» في كتاب المناقب بابًا بعنوان: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وهو باب رقم (٤٥).

١- فذكر قصة الهجرة من حديث عائشة حديث رقم (٣٩٠٥).

٣- ثم قصة الهجرة من حديث سُراقة بن جُعْشم وهو حديث رقم (٣٩٠٦).

٤- ثم قصة الهجرة من حديث البراء بن مالك عن أبي بكر (ح٣٩٠٨)، (٣٩١٧) (٥٦٠٧)، ومسلم في صحيحه (٣٢١٤)، وأحمد في مسنده الحديث رقم (٣).

٥- ثم قصة مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (ح٣٩٢٤، ٣٩٢٥) من صحيح البخاري، وكذلك (ح٣٩٢٩).

هذه من البدائل الصحيحة التي يجب أن يرجع إليها الداعية، بعد تحذيره من القصص الواهية.

وأختم هذا التحذير بما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

هذا ما وفقني الله وهو وحده من وراء القصد.

الصلاة خلف من لا يجيد قراءة الفاتحة

■ ١- الأخ: رمضان علي أحمد الشربيني- مديرية التحرير- بحيرة- يسأل عن:

أ- الصلاة خلف من لا يجيد قراءة الفاتحة مع وجود من هو أفضل منه؟

والجواب: الأصل في الإمامة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»، لكن صلاة الأقرأ خلف القارئ صحيحة، وصلاة الأفضل خلف الفاضل صحيحة، فإذا كان الإمام المسئول عنه يَصحُ قراءة الفاتحة ولكنه ليس في أحكام التجويد بذاك فالصلاة خلفه صحيحة، وأما إذا كان يلحن لحنًا جليًا يخل بالمعنى ويغيره فلا تصح الصلاة خلفه.

وعلى السائل أن يبحث عمن يرتاح للصلاة خلفه ما دام قد وسع عليه بكثرة المساجد.

استعمال العطور المخلوطة بالكحول

ب- كما يسأل: عن استعمال العطور المخلوطة بالكحول؟

والجواب: رخص العلماء في استعمال العطور المخلوطة بالكحول إذا كانت نسبة الكحول فيها يسيرة.

■ ٢- السائل عبد الله العبد- الحامول- كفر الشيخ له عدة أسئلة منها:

أ- هل يجوز الحلف بالمصحف؟

والجواب: اليمين لا تنعقد إلا باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، ومن صفات الله تعالى الكلام، ومنه القرآن الكريم، فالحلف بالمصحف الذي جمع فيه كلام الله حلف بالقرآن لا بالصحف ذاتها، فاليمين بالمصحف إذن منعقدة، إن بر فيها، وإن حنث لزمته الكفارة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هذا إن كان الحالف يقصد ما في المصحف من كلام الله تعالى- ومع هذا فإن الأولى للإنسان أن يحلف بما لا يشوش على السامعين بأن يحلف باسم الله عز وجل أو ورب الكعبة وما شابه ذلك. اهـ. والله أعلم.

ب- هل يجوز القراءة في المصحف ولمسه لغير المتوضئ (المحدث حدثًا أصغر)؟

والجواب: يجوز لمن يقرأ من أجل الحفظ والمراجعة وغير ذلك أن يقرأ في المصحف إذا لم يكن محدثًا حدثًا أكبر، وقد قال جماهير العلماء باستحباب الوضوء للقراءة في المصحف ولمسه.

الطريقة المثلى لحفظ القرآن

ج- ما الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم:

والجواب: حفظ القرآن الكريم نعمة عظيمة، يصطفي الله لها من شاء من عباده الأبرار، ويرفع درجة العبد في الجنة يوم القيامة على قدر ما يحفظ من القرآن الكريم، ونحن نهيب بالشباب المسلم أن يتنافسوا في ذلك، وأما الطريقة المثلى لحفظ القرآن فتتمثل في: إخلاص النية- العزم الأكيد- الإلحاح في الدعاء- فرض مقرر يومي وإن قل ثم الالتزام به- البدء بحفظ حزب المفصل (من ق إلى الناس)، ثم تكملة ربع يس، ثم الكهف إلى يس وهكذا- مراجعة المحفوظ يوميًا بما لا يقل عن ثلاثة أجزاء. والله يوفق من يشاء وله الحكمة البالغة.

كيفية الثبات على الطاعة؟

٣- يسأل من رمز لاسمه بـ «ع. ع. ع» من أسيوط المدينة:

عن الثبات على الطاعة حيث إنه يحافظ على الصلوات، وعلى قراءة القرآن، ويحرص على مجالس العلم، ومع ذلك يقع في المعاصي ولا سيما فتنة النساء.

والجواب: ما ذكره من المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة، وقراءة القرآن، وحضور مجالس العلم هو من أهم عوامل الثبات، ولكن يجب أن يعلم هو وكل مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن تصدق الله يصدقك». فعليك أخي الشاب أن تصلي بخشوع وخضوع، وأن تتذكر بقيامك الصلاة أمام الله عز وجل قيامك يوم القيامة بين يدي مولاك ليقررك بذنوبك، فيحملك هذا على الخوف من الله تعالى وترك معصيته،

وقد قال الله تعالى: «﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾»، ولكن لمن ذكر الله في صلاته، ولذلك عقب بقوله: «﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾»- كما أنه عليك إذا قرأت القرآن أن تتدبره وتحاول فهمه، وتسأل نفسك عند كل آية آمرة: هل ائتمرت؟ وعند كل آية ناهية: هل انتهيت؟ ومن أوامر القرآن الكريم قوله تعالى: «﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾» فغض بصرك، ولكن على يقين من أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من رأيت، فاستحي من الله حياءك من رجل صالح من رجال قومك بل أشد، واستعن بالله ولا تعجز.

حكم صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

٤- ويسأل حامد عبد الخالق أبو الدهب- شبين القناطر قليوبية، وإبراهيم عبد الغني سالم- المنيرة- مركز القناطير الخيرية- قليوبية:

عن حكم صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، فإن إمامًا يواظب على ذلك في كل جمعة؟

والجواب: قال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري رحمه الله في كتابه «السنن والمبتدعات» (ص١٨١، ١٨٢):

إن صلاة الظهر بعد الجمعة لم يصلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مرة واحدة في حياته، ولا أمر بها ولا رغب فيها، ولا فعلها أحد من الخلفاء الراشدين الأربعة، ولا أحد من سائر الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم، ولا الأئمة الأربعة، ولا أشار إلى ذلك واحد منهم، فهي لا أصل لها في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس صحيح، فهي بدعة محدثة، مستهجنة وشرع لم يأذن به الله ولا رسوله، والواجب على المسلمين أن يتبعوا ولا يبتدعوا، وأن يعلموا أن كل عمل تقربوا به إلى الله لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مردود عليهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

كراهية رفع الصوت بالذكر

٥- ويسأل هواري محمد عبد المعز- من المنيا- أبو قرقاص. عن:

أ- حكم الجهر بالذكر بصوت جماعي بين ركعات صلاة التراويح.

والجواب: قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله في كتابه القيم «الإبداع في مضار الابتداع» (ص٢٨٥) بعد أن تكلم عن كراهية رفع الصوت بالذكر: (ومن هنا يعلم كراهة ما أحدث في صلاة التراويح من قولهم عقب الركعتين الأوليين منها: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، ونحو ذلك قبل الأخريين، وبعضهم يترضى عن الصحابة، وكل ذلك شرع لما لم يشرعه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وإنما هو تلبيس من الشيطان على الناس وهو بدعة. اهـ.

حكم من يقرأ القرآن ويهب ثوابه للميت!!

ب- وعن حكم من يقرأ القرآن ثم يهب ثوابه لميت.

الجواب: قراءة القرآن عبادة، ولها أجر عظيم، ولكن من الذي يجزم بأنه أجر على قراءته، والله تعالى يقول في معرض مدح المؤمنين: «﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾» قالت عائشة: يا رسول الله، أهو الذي يزني ويسرق ويخاف؟ قال: «لا، ولكن الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يتقبل الله منه». ((صحيح الترمذي ٣/٧٥)).

فكيف يهب القارئ ثواب ما قرأ لغيره وهو ليس على يقين من حصول الثواب أصلاً. ولذلك قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾» استنبط الشافعي رحمه الله من هذه الآية أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا من كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على المنصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، والله أعلم.

فتاوى

أجاب عنها:
فضيلة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

علامات الولاية

سُئل: رجل يستغيث بغير الله ويزعم أنه ولي الله، فما علامات الولاية؟

أجاب: علامات الولاية بيّنها الله عز وجل في قوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فهذه علامات الولاية: الإيمان بالله، وتقوى الله عز وجل «فمن كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا». أما من أشرك به فليس بولي لله بل هو عدو لله، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]. فأي إنسان يدعو غير الله، أو يستغيث بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فإنه مشرك كافر، وليس بولي لله ولو ادعى ذلك، بل دعواه أنه ولي مع عدم توحيده وإيمانه وتقواه دعوى كاذبة تنافي الولاية.

ونصيحتي لإخواني المسلمين في هذه الأمور أن لا يغتروا بهؤلاء، وأن يكون مرجعهم في ذلك إلى كتاب الله، وإلى ما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يكون رجاؤهم وتوكلهم واعتمادهم على الله وحده حتى يحفظوا بذلك أموالهم أن يبتزها هؤلاء المخرفون، كما أن في لزوم ما دل عليه الكتاب والسنة في مثل هذه الأمور- إبعادًا لهؤلاء عن الاغترار بأنفسهم؛ هؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا، وأحيانًا أولياء، ولو فكرت أو تأملت ما هم عليه لوجدت فيهم بعدًا عن الولاية والسيادة، ولكنك تجد الولي حقيقة أبعد الناس أن يدعو لنفسه وأن يحيطها بهالة من التعظيم والتبجيل وما أشبه ذلك؛ تجده مؤمنًا تقيًا خفيًا، لا يظهر نفسه، ولا يحب الاشتهار، ولا يحب أن يتجه الناس إليه، أو أن يتعلقوا به خوفًا أو رجاءً، فمجرد كون الإنسان يريد من الناس أن يعظموه ويحترموه ويبجلوه، ويكون مرجعًا لهم، ومتعلقًا لهم، هذا في الحقيقة ينافي التقوى وينافي الولاية، ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيمن طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فعليه كذا وكذا من الوعيد، فالشاهد في قوله: «أو ليصرف وجوه الناس إليه»، فهؤلاء الذين يدعون الولاية ويحاولون أن يصرفوا وجوه الناس إليهم هم أبعد الناس عن الولاية.

فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لا يغتروا بهؤلاء وأمثالهم، وأن يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يعلقوا آمالهم ورجاءهم بالله وحده.

احوال الرياء في العبادة

سئل: ما حكم العبادة إذا اتصل بها الرياء؟

أجاب: حكم العبادة إذا اتصل بها الرياء أن يقال: اتصال الرياء بالعبادة على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل كمن قام يصلي مراءاة الناس من أجل أن يمدحه الناس على صلاته فهذا مبطل للعبادة.

الوجه الثاني: أن يكون مشاركًا للعبادة في أثنائها؛ بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله، ثم طرأ الرياء في أثناء العبادة، فهذه العبادة لا تخلو من حالين:

الحال الأولى: أن لا يرتبط أول العبادة بآخرها، فأولها صحيح بكل حال، وآخرها باطل.

مثال ذلك: رجل عنده مائة ريال يريد أن يتصدق بها فتصدق بخمسين منها صدقة خالصة، ثم طرأ عليه الرياء في الخمسين الباقية فالأولى صدقة صحيحة مقبولة، والخمسون الباقية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص.

الحال الثانية: أن يرتبط أول العبادة بآخرها فلا يخلو الإنسان حينئذ من أمرين:

الأمر الأول: أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر شيئًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

الأمر الثاني: أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة لأن أولها

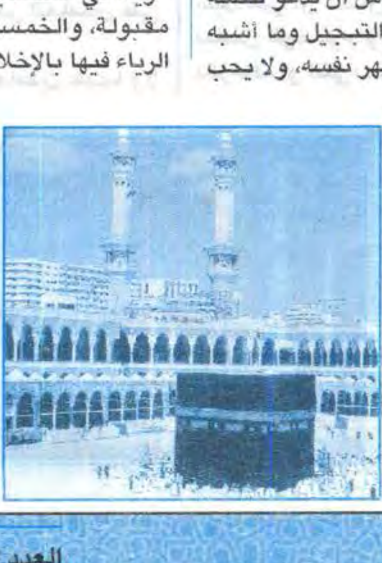

مرتبط بآخرها، مثال ذلك أن يبتدئ الصلاة مخلصًا بها لله تعالى ثم يطرأ عليها الرياء في الركعة الثانية فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها.

الوجه الثالث: أن يطرأ الرياء بعد انتهاء العبادة فإنه لا يؤثر عليها ولا يبطلها لأنها تمت صحيحة فلا تفسد بحدوث الرياء بعد ذلك.

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أن يُسَرَّ الإنسان بفعل الطاعة؛ لأن ذلك دليل إيمانه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك مؤمن». وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم، عن ذلك فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

حكم اقتناء الصور الفوتوغرافية وتعليقها!!

سُئل: ما حكم التصوير بالآلة الفوتوغرافية؟

أجاب: اقتناء الصور للذكرى محرم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، وهذا يدل على تحريم اقتناء الصور في البيوت، وأما تعليق الصور على الجدران فإنه محرم ولا يجوز والملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة.

مفهوم العاملين عليها الذين يستحقون الأخذ من الزكاة

سُئل: رجل غني أرسل زكاته لشخص وقال: فرقها على نظرك، فهل يكون هذا الوكيل من العاملين على الزكاة ويستحق منها؟

أجاب: ليس هذا الوكيل من العاملين عليها ولا يستحق منها؛ لأن هذا وكيل خاص لشخص خاص، وهذا هو السر والله أعلم في التعبير القرآني حيث قال: ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [التوبة: ٦٠] لأن «على» تفيد نوعًا من الولاية كأن العاملين ضمنت معنى القائمين، ولهذا صار الذي يتولى صرف الزكاة نيابة عن شخص معين لا يعد من العاملين عليها.

إخراج الزكاة لتأليف ضعاف الإيمان على الإسلام

سُئل: شخص ضعيف الإيمان هل يعطى لتقوية إيمانه وإن لم يكن سيدًا في قومه؟

أجاب: هذه المسألة محل خلاف بين العلماء، والراجح عندي أنه لا بأس أن يعطى لتأليفه على الإسلام بتقوية إيمانه، وإن كان يعطى بصفة شخصية وليس سيدًا في قومه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٠]، ولأنه إذا جاز أن نعطي الفقير لحاجته البدنية الجسمية، فإعطاؤنا هذا الضعيف الإيمان لتقوية إيمانه من باب أولى؛ لأن تقوية الإيمان بالنسبة للشخص أهم من غذاء الجسد.

ماذا يفعل من حدث له رعاف أثناء الصلاة؟

سُئل: إذا حصل للإنسان رعاف في أثناء الصلاة فما الحكم؟ وهل ينجس الثوب؟

أجاب: الرعاف ليس بناقض للوضوء سواء كان كثيرًا أم قليلاً، وكذلك جميع ما يخرج من البدن من غير السبيلين فإنه لا ينقض الوضوء، مثل القيء، والمادة التي تكون في الجروح فإنه لا ينقض الوضوء سواء كان قليلا أم كثيرًا؛ لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأصل بقاء الطهارة، فإن هذه الطهارة ثبتت بمقتضى دليل شرعي، وما ثبت بمقتضى دليل شرعي فإنه لا يمكن أن يرتفع إلا بمقتضى دليل شرعي، وليس هنالك دليل على أن الخارج من غير السبيلين من البدن ينقض الوضوء، وعلى هذا فلا ينتقض الوضوء بالرعاف أو القيء سواء كان قليلاً أو كثيرًا، ولكن إذا كان يزعجك في صلاتك ولم تتمكن من إتمامها بخشوع فلا حرج عليك أن تخرج من الصلاة حينئذ، وكذلك لو خشيت أن تلوث المسجد إذا كانت تصلي في المسجد فإنه يجب عليك الانصراف لئلا تلوث المسجد بهذا الدم الذي يخرج منك، أما ما يقع على الثياب من هذا الدم وهو يسير فإنه لا ينجس الثوب..

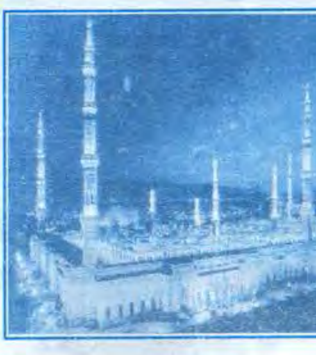

الأخلاق في الإسلام

«التشبه»

إعداد
عاطف التاجوري

يغفل كثيرٌ من الناس عن أن التشبه إذا كان بأهل الخير والصلاح يورث خيرًا وصلاحًا، كما أن التشبه بأهل الشر والفساد يورث شرًا وفسادًا.

ذلك هو معنى حديث الرسول ﷺ كما جاء في سنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٤٩) وفي الإرواء (١٢٦٩)، وقال ابن حجر في الفتح: سنده حسن، وقال في شرح سنن أبي داود: قال المناوي والعلقمي: «من تشبه بقوم»: أي: تزيًا في ظاهره بزيهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم.

وقال القاري: «فهو منهم» أي: في الإثم والخير.

قال العلقمي: أي من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون، ومن تشبه بالفساق لم يكرم، ومن وضع عليه علامة الشرفاء أكرم وإن لم يتحقق شرفه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»: وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث، وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم كما في قوله: «ومن يتولهم منكم فإنه منهم»، وهو نظير قول عبد الله بن عمرو أنه قال: من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حُشر معهم يوم القيامة، فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يقتضي الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي يشابههم فيه، فإن كان كفرًا أو معصية كان حكمه كذلك.

وبهذا احتج غير واحد من العلماء على كراهة أشياء من زي غير المسلمين.

وأخرج الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا». انتهى كلامه مختصرًا.

نخلص من هذا: بأن التشبه إذا كان بأهل الكفر قد يكون كفرًا، هذا إذا اعتقدنا عقيدتهم وتشبهنا بهم فيها، وقد يكون حرامًا إذا كان تشبهًا بهم في المعاصي، وقد يكون مكروهًا، وترك التشبه بهم ومخالفتهم يدور بين الوجوب والاستحباب، والتشبه بأهل الصلاح والخير إما واجب أو مندوب، وترك التشبه بهم ومخالفتهم إما محرم أو مكروه.

وقد قال الشاعر:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

الأدلة في القرآن الكريم عن التشبه: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: نهى الله عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله، فإذا أرادوا أن يقولوا: «اسمع لنا» يقولوا: «راعنا» ويورون بالرعونة.

والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها.

حتى قال اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، وهذا يدل على أنهم شعروا بمخالفة الرسول ﷺ لهم في كل الأمور العامة والخاصة، حتى هذا الأمر الخاص جدًا، بين الرجل وزوجته لم يتركه الرسول ﷺ وخالفهم فيه، وأحسوا بذلك أنه يجعل من مقاصد هذه الشريعة العظيمة مخالفة غير المسلمين في كل شيء من باطلهم وخصوصياتهم.

وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه القيم اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم فصلاً في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن التشبه بهم، كان مما قال فيه:

فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة في الجملة ثم نتبع ذلك الأحاديث المفسرة لمعاني ومقاصد الآيات بعدها.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٦- ١٩].

جعل الله محمدًا ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته وأهواءهم هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالاً عظيمًا ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم، فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن «من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه».

الأدلة من السنة في موضوع التشبه:

أما الأدلة من السنة فهي كثيرة جدًا، وقد جاءت مفصلة لإجمال الأدلة القرآنية، وجاءت في جميع المجالات في العبادات وفي العادات وفي خصوصيات الرجل مع أهل بيته وحتى في مجال الموت والقبور.

ففي العبادات حديث الأذان وعدم السماح باستعمال قرن اليهود ولا جرس النصارى عندما رأى الصحابي الجليل عبد الله بن زيد رؤيا في منامه فقصها على الرسول ﷺ فأقرها فشرع الأذان الذي لم يتشبه فيه باليهود وقرنهم أو النصارى ونواقيسهم، ومنها أيضًا النهي عن اتخاذ القبور مساجد وبدأ بقوله ﷺ: «إن من كان قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»، فنهينا عن التشبه بهم، ومنها النهي عن الصلاة في أوقات الكراهة ؛ لأن الكفار يسجدون للشمس في هذه الأوقات، فنهانا الرسول ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات أيضًا مع أنها لله سبحانه وتعالى وليست لغيره.

ومنها استقبال القبلة، حيث كان الرسول ﷺ والمسلمون معه يستقبلون المسجد الأقصى أو بيت المقدس وهو قبلة اليهود ثم أمر الله تعالى باستقبال البيت الحرام في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وفي الأمور العادية أمرنا رسول الله ﷺ بعدم الأكل والشرب بالشمال مخالفة للشيطان حيث يأكل ويشرب بشماله.

وأمرنا رسولنا ﷺ بإعفاء اللحى وحف الشوارب مخالفة للمشركين حيث قال ﷺ: «خالفوا المشركين؛ احفو الشوارب واعفو اللحى».

وفي الأعياد لم يوافق رسول الله ﷺ أهل المدينة على الأعياد التي كانوا يلعبون فيها وقال لهم: «إن الله أبدلنا بيومين خيرًا منهما ؛ يوم الفطر، ويوم الأضحى».

وفي خصوصيات الرجل مع أهله قدمنا قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». حتى في حال حيض المرأة وكانت اليهود يعتزلون المرأة تمامًا فلا يجلسون معها ولا يأكلون معها، حتى قالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا وخالفنا فيه.

ثم نختم بما قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط المستقيم: ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات وقد تكون أيضًا عادات: في الطعام والشراب واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ولا بد ارتباط ومناسبة فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً وقد بعث الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلًا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيًا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب انقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، وكلما كان القلب أتم حياة وأعراف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا أو ظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرًا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمة. اهـ.

عاشوراء... تاريخًا وفضلاً... وبدعًا

إعداد/ أبي بكر الحنبلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

أولاً لمحة تاريخية عن عاشوراء:

أ- اعلم رحمني الله وإياك أن عاشوراء بالمد على المشهور ولم يسمع (فاعولاء) إلا هذا.

ب- وأما بالنسبة لتعيينها فالأكثر أن عاشوراء: هي اليوم العاشر من المحرم، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وإليه ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف، وهو ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ.

ج- وأما عن نوع عظمتها التاريخية عند بعض الأمم:

وهذا يوم كانت قريش تعظمه في الجاهلية، ويكسون فيه الكعبة ويصومونه، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعظمونه ويتخذونه عيدًا ويُلبسون فيه نساءهم حُليهم وشارتهم (شيء يتجملون به وهو عرض الشيء وإظهاره، ويقال لها الشارة وهي الهيئة).

فيوم عاشوراء: هو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فكان اليهود يصومونه شكرًا لله على هذه النعمة العظيمة، أن الله أنجى جنده، وهزم جند الشيطان، أنجى موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فهذه نعمة عظيمة، ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم نجَّا الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فنصومه شكرًا لله، فقال عليه الصلاة والسلام: «نحن أولى بموسى منكم». لماذا؟ لأن النبي والذين معه أولى الناس بالأنبياء السابقين. ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾]آل عمران: ٦٨[.

فرسول الله ﷺ أحق بموسى من اليهود؛ لأن اليهود كفروا به، وكفروا بعيسى، وكفروا بمحمد، فصامه وأمر الناس بصيامه، إلا أنه أمر أن يخالفوا اليهود الذين لا يصومون إلا اليوم العاشر.

وفي يوم عاشوراء: يحدث من فظائع الروافض ومن تبعهم من جهال الوعاظ نعي الحسين رضي الله عنه في خطب المحرم على رؤوس الملأ، وذكرى شهادته في كربلاء، وسرد ما نزل بالمسلمين من مصائب بما يستدر دمع السامعين، ويثير عواطفهم ليحزنوا ويلعنوا يزيدًا ويسبُّوه، وهذا أمر لا يعود بأدنى فائدة عليهم في دينهم ودنياهم.

والروايات المرفوعة في ذكر كربلاء وشهادة الحسين رضي الله عنه، مثل كون السماء أمطرت، وكون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وغيرها من التُّرهات غالبها مكذوبة وموضوعة ولا يصح فيها كثير شيء، ولا يجوز ذكرها إلا بذكر وضعها وكذبها.

وأما قتل الحسين رضي الله عنه، فإنه قتل مظلومًا شهيدًا، وهو مصيبة أُصيب بها المسلمون، ولكنه في حقه شهادةٌ له، ورفعُ درجةٍ، وعلو منزلةٍ؛ لأنه هو وأخاه الحسن رضي الله عنهما سبقت لهما من السعادة التي لا تنال إلا بنوع من البلاء لم يكن لها من السوابق ما لأهل بيتهما، وليس ما وقع من ذلك بأعظم من قتل الأنبياء، وكذلك قتل علي رضي الله عنه، أعظم ذنبًا ومصيبة، فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع.

ثانيًا: فضل صوم يومي عاشوراء وتاسعواء:

وبيان أن صوم عاشوراء كان فريضة فنُسِخت الفرضية وبقي الأمر على الاستحباب.

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه.

فقه الحديث:

صوم عاشوراء كان فريضة قبل رمضان، كما في حديث عائشة المتفق على صحته؛ قالت: كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر.

ويتأكد ذلك بأمر رسول الله ﷺ بالنداء العام كما في حديث محمد بن صيفي الأنصاري الذي أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة وغيرهم بإسناد صحيح قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في يوم عاشوراء، فقال: «أصمتم يومكم هذا؟» قال بعضهم: نعم، وقال بعضهم: لا. قال: «فأتموا بقية يومكم هذا». وأمرهم أن يؤذنوا أهل العروض- قرى المدينة- أن يتموا بقية يومهم هذا.

ويشهد لذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المتفق على صحته قال: أمر النبي ﷺ رجلاً من أسلم أن أذِّن في الناس أن من أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم عاشوراء.

ثم نسخ وجوبه لما جاء رمضان، كما أخرج مسلم عن

ابن مسعود: «لما فرض رمضان ترك عاشوراء». وأخرج عن عائشة رضي الله عنها: «فلما نزل رمضان فكان رمضان هو الفريضة، وترك عاشوراء».

المنسوخ وجوب يوم عاشوراء، وأما استحبابه، فبقي كما في حديث عائشة المتقدم: «فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر». بل الإجماع على استحبابه كما نقله الحافظ في «الفتح» (٤/٢٤٦) عن ابن عبد البر فتعين أنه باق، فدل أن المتروك وجوبه، والله أعلم.

استحباب صوم يومي التاسع والعاشر من المحرم ومخالفة اليهود والنصارى:

ويدل على ذلك الحديث الآتي:

عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سُئِل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يُكفر السنة الماضية».

فقه الحديث:

استحباب صيام يوم عاشوراء وأنه يكفر ذنوب السنة الماضية، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع».

غريب الحديث: قابل: عام مقبل.

فقه الحديث:

استحباب صيام يومي التاسع والعاشر من المحرم مخالفة لليهود والنصارى، كما أخرج مسلم عن ابن عباس قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: فإن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا يوم التاسع، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

تنبيه:

ذهب بعض أهل العلم أن المخالفة تقع بصيام يوم قبله أو بعده، واستدلوا بما روي عن رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صوموا قبله يومًا أو يومًا بعده».

قلت: هذا قول ضعيف؛ لأنه اعتمد على هذا الحديث الضعيف الذي في إسناده ابن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ.

ثالثًا: بدع تقع من بعض الناس يوم عاشوراء:

قال العلامة علي محفوظ أحد علماء الأزهر الشريف في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع» (١٣٨- ٤٠) ما ملخصه: يقع في هذا اليوم كثير من البدع منها ما لا أصل له، ومنها ما يبنى على أحاديث موضوعة أو ضعيفة، كالتوسع في الأطعمة الخاصة بهذا اليوم- ولقد أحدث الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه، بدعتين.

الأولى: الحزن والنوح واللطم والعطش وما يفضي إليه ذلك من سبِّ السلف ولعنهم، وتقرأ أخبارًا مهيجة كثير منها كذب، وكان قصدُ من سنَّ ذلك فتح باب الفتنة والتفريق بين الأمة، فإن هذا ليس مستحبًا ولا جائزًا باتفاق المسلمين.

الثانية: بدعة السرور والفرح- وكان بالكوفة قوم من الشيعة ينتصرون للحسين رضي الله عنه، وقوم من الناصبة يبغضون عليا وأولاده، فأحدث هؤلاء السرور ورووا أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته، وقد سُئل الإمام أحمد عن هذا الحديث فقال: لا أصل له، وليس له أصل ثابت إلا ما رواه عيينة عن ابن المنتشر وهو كوفي سمعه ورواه عن من لا يعرف ورووا أنه من اكتحل يوم عاشوراء للم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، فصار قوم يستحبون في هذا اليوم الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال، وهذه بدعة أصلها من خصوم الحسين، كما أن بدعة الحزن أصلها من أحبابه، والكل باطل وبدعة وضلالة، ولم يستحب أحد من الأئمة الأربعة وغيرهم لا هذا ولا ذاك لعدم الدليل الشرعي، بل المستحب يوم عاشوراء الصيام عند جمهور العلماء مع صوم يوم قبله.

البقاء لله

توفى فجر الأحد ٣ ذي الحجة ١٤٢٤هـ الشيخ/ عيد رجب علي الشهير بالشيخ/ أبو سريع عن عمر تجاوز ٧٠ عامًا وقد كان رحمه الله من الأوائل الذين التفوا حول مؤسس الجماعة الأول الشيخ/ محمد حامد الفقي رحمه الله وكان له دور بارز في تأسيس فرع الجماعة بمنشأة البكاري بالهرم، فاللهم إنا نسألك أن ترفع درجته في المهديين وأن تخلفنا فيه خيرًا.

كما توفى إلى رحمة الله تعالى الشيخ/ السعيد حسن العليمي رئيس فرع ميت غمر يوم الثلاثاء ٢٧ يناير ٢٠٠٤، وتحتسب جماعة أنصار السنة الشيخ عند الله ونرجوا أن يسكنه فسيح جناته.... آمين.

أحمد يوسف عبد المجيد

ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً

بقلم / محمد حسين يعقوب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

كم يتملك الإنسان من أسى وحزن وحسرة حين يطالع أحوال المسلمين في هذه الأيام!! فكلمًا لاحت فى الأفق مسألة تمس شريعتهم لا تُعجب أعدائهم تراهم يلتمسون الأعذار ويتنكبون الطريق، لماذا يا قوم هذا الوهن؟ لماذا هذه النفسية المنهزمة دائماً؟ أما كفاهم غلبة عدوكم عليكم حتى تعودوا لدينكم، تعلون به الدنيا، وتشمخون بأنوفكم إنْ كنتم به مستمسكين، قال تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إنْ كنتم مؤمنين» [آل عمران/١٣٩]

لكن أصل البلية أنَّ المسلمين اليوم لم يعودوا يشعرون بأن دينهم هذا، دين عظيم، لم يعودوا يبصرون اعتداله ووسطيته، قال تعالى: «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» [الأنعام/١٦١] وقال جل وعلا: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» [البقرة/١٤٣] ولا يرون كماله «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» [المائدة/٣] ولا ينظرون بإجلال لقوته قال [: «إنَّ هذا الدين متين» (١) ولا يعرفون أنَّ أحكامه وشريعته مبنية على اليسر «إن الدين يسر» (٢) فالإحساس بعظمة الإسلام له دور مهم فى صياغة الأمة الإسلامية؛ ولذلك نرى هوان الإسلام على أصحابه فى هذا العصر لعدم تعظيم الإسلام فى نفوس المسلمين، وعدم تعظيمهم لشرائعه وشعائره، قال الله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب» [الحج/٣٢] وإنَّما خفَّت عظمة الإسلام فى نفوس المسلمين فى هذا الزمان؛ نتيجة كثرة الأقلام المسعورة، والألسنة الحاقدة، والقلوب الخبيثة من المنتسبين إلى الإسلام الذين يهاجمون شريعته كلما واتتهم الفرصة، ونظرة عاجلة على مقالاتٍ كثيرة فى الصحف تنبئكُ عن هذه الحملة المكثفة على عقائد المسلمين .

ومن أسفٍ أنْ دانت الأمور إلى أهل النفاق الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم فى الرمية، وهؤلاء لا فقه لهم فى الدين، يُحكمِّون عقولهم التى تربت فى كنف الغرب؛ للطعن فى شريعة الإسلام، وقد قال [: «خصلتان لا يجتمعان فى منافق: حسن سمت ولا فقه فى الدين» (٣).

وقال [: «الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيراً يفقه فى الدين» (٤).

إنَّ هذا الدين يحتاج أن يعاش؛ فإن الملايين المليئة من المسلمين الذين يعيشون تحت ضغط الظروف ومأساة الحصول على لقمة العيش السائغة لا يحتاجون إلى مجرد وعظهم وتذكيرهم بعظمة الإسلام بقدر ما يحتاجون إلى انتشالهم من ضغط الواقع الأليم؛ ليعيشوا الإسلام، إنَّه دين يحتاج أن نعيشه حقيقة، لا أن

نتحدث عنه، ونعجب به ونتمناه، ونكتفى بذلك أحلاما وشعارات بل أن نعيشه حقيقه، فيعيش هو بنا وفينا ونعيش نحن نستمتع بعظمته فى آفاق عالية؛ لذا كانت عظمة الصحابة أنهم استطاعوا أن ينزلوا بمثاليات الإسلام إلى أرض الواقع أو بتعبير أدق أن يرفعوا بالواقع إلى درجة المثالية.

أكتب هذا الكلام فى أعقاب حج ١٤٢٤ هـ، بعد أحداث وقعت فى منى عند رمى الجمرات هذا العام، وكالعادة تنظر إلى الجرائد والمجلات فكل من هب ودب ينتقد ويتشفى، ويقترح وينصح، ويلوم ويطعن، لكننى أرى الأمر فرصة لبيان عظمة الإسلام فى استشهاد مئتين وأربعين حاجاً فى ثياب إحرامهم، وهم يؤدون منسكا من المناسك، أقول - وقد امتن الله علىّ بالحج هذا العام - وبملء فمى وقلبى : ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.

نعم والله، وما يضير هؤلاء وقد باتوا بمنى يوم التروية، ثم وقفوا بعرفة طيلة النهار ملبين داعين خاشعين متبتلين ضارعين هاتفين: لبيك اللهم لبيك.

أتو ربهم لابسين أكفانهم، ثم باتوا بمزدلفة، وأصبحوا بالمشعر الحرام يذكرون الله أشد من ذكرهم آباءهم ثم هرعوا مسارعين لرمى جمرة العقبة ولم ينقطعوا بعد عن التلبية.

ماضر هذا الحاج أن يلقى حتفه تحت أقدام إخوانه من الحجاج وهو يمتثلون قول الله: «وعجلت إليك ربى لترضى» [طه/٨٤]

ما ضرهذا الحاج أن لقى حتفه رغم أنفه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه عشية عرفه، فلقى الله طاهراً مطهرا نظيفا جميلا، أليس هذا بعض السر فى لبسه لباس الإحرام كالكفن أصلاً.

إنها - أيها الأخوة - ليست دعوة لأن نموت هناك، وإنما تحليل من قلب يبصر عظمة الإسلام فى كل المشاعر والمناسك المقدسة، ألا ترون أنَّ اجتماع مليونين من المسلمين فى لباس واحد بنداء وهتاف واحد فى مشهد يأخذ بالألباب يحمل فى طياته رسالة موجهة إلى كل العالم أنَّ المسلمين لبسوا أكفانهم وينادون ربهم أتيناك ، فليعقلها عقلاء القوم؛ فتعود إلى المسلمين هيبتهم فى النفوس.

ألا تعتبرون شهادة هذه العشرات من المسلمين فى سبيل الله على صعيد منى يحمل رسالة أخطر وأهم إلى كل أعداء الإسلام فى كل مكان، فالذين سَيُمعنون الفهم هناك، سيعلمون يقيناً أن هؤلاء المسلمين؛ أرواحهم أرخص شئ عندهم، يبذلون أرواحهم التى هى أغلى عند غيرهم من الدنيا وما فيها، ليرضى عنهم ربهم.

نعم هذه نظرة أهل العزة والاعتزاز بالإسلام، أما المتخاذلون المنهزمون نفسياً؛ فإنهم يسارعون إلى الاعتذار وإيجاد المبررات، ونحن نقول لقومنا قبل غيرهم. فما مائتان وما خمسمائة وما ألف وما آلاف! فى جنب ما يُقتلون كل يوم على أرض فلسطين وفى العراق وفى أفغانستان، وفى كل أنحاء العالم من المسلمين من يضيع دمهم هدرا فى خيانات بذيئة، ويباع دمهم هدرا من أجل دنيا رديئة، شتان الفرق!!

وكم نسبة المائتين بل والخمسمائة إلى حوادث الطرق من شباب أرعن لا يقدر المسئولية فى سيارات جاءت بالربا المحرم، فضاعت السيارات وضاع أصحابها.

هل عرفتم الآن سر تهويل القضية فى مائتى شهيد؛ راحوا فى ثياب إحرامهم يلقون الله يوم القيامة ملبين؟! السر يا قومنا فى ضعف تعظيم الإسلام فى النفوس، وهزيمة نفسية منكرة أمام شبهات الأعداء، وعدم فهم للمشاعر المقدسة، إنها يا قومنا رسالة أرادها الله أن تصل إلى كل العالم، أننا قوم رخصت دماؤنا فى سبيل إقامة مشاعر ديننا، رسالة إلى العلمنة فى وسائل الإعلام، وإلى أهل الحجاب فى فرنسا، وإلى أهل التغريب فى العراق، وأمثال هؤلاء كثير، إنها رسالة من ربنا إلى أعدائه أن للدين حماة ورعاة يبذلون أرواحهم سهلة، ومهجهم رخيصة من أجل إقامة شعائر الدين وفرائض الإسلام. وما خسر هؤلاء الشهداء شيئا، يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيماً

كيف نفهم العقيدة؟

الحلقة الخامسة

بقلم: د. محمود عبد الرازق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فلقد سبق في العدد الماضي أن القرآن والسنة كلاهما وحي تلقاه رسول الله ﷺ عن ربه، وأن الاحتجاج بالسنة كالاحتجاج بآيات القرآن سواء بسواء، وأن السنة هي المصدر الثاني لمعرفة أصول الإسلام بعد القرآن الكريم، وأن الله سبحانه قد حفظ دينه قرآنا وسنة بأن خصّ هذه الأمة بأعظم علم قام به العلماء في التاريخ وهو ضبط السنة والنقل المعروف بعلم مصطلح الحديث، وحفظه سبحانه واقعًا مرئيًا بقيام الطائفة المنصورة واستمساكهم به..

ونكمل بحول الله وقوته حديثنا فنقول:

القاعدة الرابعة

والتي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، هي التسليم بأن الطريق الوحيد في ثبوت السنة هو الالتزام بقواعد المحدثين في معرفتها، فإذا كانت الآيات القرآنية لا تؤخذ بمعزل عن السنة، وفصل أحدهما عن الآخر لا يقبل في دين الإسلام، فإن من أعظم الأسس في الاعتماد على السنة أن نسلم بأن الطريق الوحيد في ثبوتها هو الالتزام بقواعد المحدثين في معرفتها، وهو ما عرف عند المسلمين بعلم الحديث، أو العلم بالأصول التي يعرف بها أحوال السند والمتن، من حيث القبول والرد، وذلك فيما نقل من أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وروايتها وضبطها وتحريرها، وإسناد ذلك إلى من نسب إليه بتحديث أو إخبار أو عنعنة أو غير ذلك.

فليس كل ما نسب إلى النبي ﷺ يقبل بلا ضبط أو نقاش، فلا بد من الترابط العلمي المتصل بين رواة السند بحيث يتلقى اللاحق من الرواة عن السابق، فلا يكون بين اثنين من رواة الحديث فجوة زمنية أو مسافة مكانية يتعذر معها اللقاء، أو يستحيل معها التلقي والأداء، كما يلزم اتصاف الرواة بالعدالة وهي صفة خلقية تكتسبها النفس الإنسانية، وتحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ومجانبة الفسوق والابتداع، ولا بد أن يتصف الراوي أيضا بالتَّثَبُّت في الحفظ، والسلامة من الخطأ، وانعدام الوهم مع القدرة على استحضار ما حفظه، وهذا شرط في جميع رواة الحديث الصحيح من أول السند إلى آخره، يضاف ذلك إلى عدم مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه، ولا يكون أيضا في روايته علة قادحة خفية تؤدي إلى عدم ثبوت الحديث.

أما الحكم على ثبوت الحديث بالأصول الكلامية أو المناهج الفلسفية، أو الأفكار العقلية أو الكشوفات الذوقية، فلا يعد رجوعا إلى قرآن وسنة بفهم سلف الأمة، لأن الآراء العقلية متعددة، والأذواق مختلفة ومتغيرة، ولا يمكن ضبط هذه الأشياء، فالحكم على أحاديث الرسول ﷺ في هذه الحالة، يحكمه الهوى ويسوقه استحسان النفس، ومن ثم لا عبرة بقول ابن عربي: «ربما صح عندنا من أحاديث الأحكام ما اتفق المحدثون على ضعفه وتجريح نقلته، وقد أخذناه عن الكشف عن قائله صحيحا، فنتعبد به أنفسنا على غير ما تقرر عند علماء الأصول، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه وليس بصحيح عندنا بطريقة الكشف فنترك العمل به».

ومعنى هذا أن الصوفية لهم حكمهم الخاص على إسناد الحديث، فعن طريق الكشف يتصلون رأسًا بالنبي ﷺ ويصححون الحديث أو يضعفونه!! زورا وتلبيسًا على سنة الحبيب ﷺ، وبهذا الهجوم على قواعد علم الحديث تنهدم السنة، وتبقى ألعوبة في يد هؤلاء الذين يحكمون عليها بما شاءوا، وليس من ضابط نرجع إليه، ولا فيصل نحتكم إليه، ما دام أن هذا الكشف علم غيبي، وقد يكون كشف هذا الصوفي غير كشف ذاك.

ومثل ذلك أيضا يهدم به الشعراني فهم سلف الأمة فيقول: «قد رأينا في كلام علماء الرسوم تكفير الأولياء المحدِّثين لكونهم يصححون الأحاديث التي قال الحافظ بضعفها، وهذا عدم إنصاف منهم»، ويرى الشعراني أن أقل الأحوال أن ينزلوا الأولياء المكاشفين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم.

القاعدة الخامسة

والتي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح أن الدين قد كمل وتم، فلا يحتاج إلى زيادة أو نقصان، وإنما إلى شرح وبيان، ودعوة وبرهان، والقرون الأولى فيها أفضل الناس، وأولاهم بالمتابعة، ومن خالفهم فهو المرجوح المفضول، فالبدعة اتهام لدين الله بالنقص، لأنه إن ادعى صاحبها أنها واجبة أو مستحبة، ولا يكون الدين صحيحًا أو كاملاً إلا بها، يرد عليه بأن الرسول ﷺ ما ستر شيئًا مما أمر الله به المسلمين في أمر دينهم، ولم يدع إلى هذه البدعة، ولما قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]، علمنا أنه إما أن يكون الله تعالى الصادق في إكمال دينه، أو أن المبتدع هو الصادق في نقصانه! ولما استحال الثاني ثبت الأول، ولو سُئل المبتدع عن بدعته، هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟ فإن ادعى علم الرسول بها، فسيقال له: وما الدليل؟ وعلى فرض أنه ﷺ علمها، فإنه لم يثبت أنه دعي إليها، بل سكت عنها، فنحن أولى بالسكوت عنها، وإذا قال: جهلها ادعى أنه أعلم من رسول الله ﷺ بما ينفع الناس.

ولا ينفع المبتدع في ترك السنة والتمسك بالبدعة حسن النية، فقد ثبت أن رسول الله أنكر على المتشددين في العبادة، أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد». وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بُهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا».

ومن هنا فإن البدعة مرفوضة بكل سبيل، ولا نُسمي المغالين في العبادة أولياء مهما بالغوا وفعلوا، مثلما حكى عن رويم بن أحمد البغدادي الصوفي (ت ٣٠٣هـ) أنه عطش عطشًا شديدًا فاستسقى جارية، فقالت: «ويحك صوفي يشرب بالنهار فاستحى منها ونذر ألا يفطر أبدًا»، ولا عبرة بالبدعة الكفرية تحت حسن النية والتي يراها بعض المعاصرين قمماً إيمانية، هذه البدعة يدعو فيها ابن عربي إلى ترك الذكر بحجة انعدام النسيان والاستحضار الدائم لله في القلب، فقال:

دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقًا
فليس يديم الذكر إلا المنافق
إذا كان من تهواه في القلب حاضر
وأنت تديم الذكر كنت منافقا

ويقول أيضًا:

ألا بذكر الله تزداد الذنوب
وتنعكس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شيء
فشمس الذات ليس لها غروب

الخير كل الخير في الاتباع

فالله جل وعلا أمرنا في كتابه الكريم باتباع النبي الصادق الأمين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، وذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، والآيات التي تحثنا على اتباع النبي ﷺ كثيرة جدًا، فالواجب على المسلمين أن يتبعوا هدي محمد ﷺ، ولا يبتدعوا في دين الله ما ليس منه، ولا شك أن الإنسان المسلم إن اتبع هدي النبي ﷺ وأصحابه، وسار على نهجهم كان من الفائزين، وإن خالفهم وابتعد عن طريقهم كان من الخاسرين.

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صَبَّحَكُم ومسَّاكم، ويقول: بُعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه، السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

عام جديد والقدوة المفقودة

كتبه: صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن من يتصفح تاريخ أمتنا الإسلامية يجد صفحاته النيرة تمتلئ بذكر صفات الفرد المسلم وحسن تصرفاته وأنها موافقة لما يأمر به الإسلام، فلقد كان الله ورسوله أحب إلى هذا الفرد مما سواهما، ومَن أحب شيئًا أطاعه وأكثر من ذكره، فكانت طاعة الله ورسوله سبيله في هذه الحياة الدنيا: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

كما كان لتمسك الفرد المسلم بدينه أثره البارز في معاملة الآخرين، فكان أحدهم إذا مشى في طريقه فكأنما سار الإسلام في ذلك الطريق، فهناك ارتباط تام بين الإيمان والسلوك والعلم والعمل، فديننا ليس مجموعة من الطقوس التي تؤدى في أوقات معينة، ثم بعد ذلك يفعل الإنسان ما يريد، ويطلق لنفسه العنان لتفعل ما تشاء، بل العبادة وسيلة لترشيد سلوك العبد مع ربه ومع نفسه ومع الناس أجمعين، ولذلك عندما ذكروا لرسول الله ﷺ امرأة وذكروا من صلاتها وصيامها وصدقتها وكانت تأخذ شيئًا من الليل غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال: «هي في النار...»، وذلك أن العبادة لم تصبغ سلوك المرأة بصبغة الإيمان ولباس التقوى، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

إن القدوة الصالحة دعوة صامتة وهي أبلغ أثرًا وأعظم شأنًا من الدعوة الناطقة، وكان لسلوك النبي ﷺ وأصحابه أثر في دخول الناس في دين الله فرادى وجماعات، فإن الناس ينظرون في سلوك الداعي قبل الاستماع إلى وعظه وكلامه، فإن كان تقيًا ورعًا عاملاً بعلمه وقافًا عند حدود ربه، قبلوا كلامه وكان فيه الأثر، وكانت من ورائه الثمرة الطيبة، وإن كان الأمر على النقيض من ذلك فإنهم ينظرون إليه بأعينهم ولا تلتفت إليه قلوبهم، ومن هنا يصبح الوعظ كلامًا أجوف لا ينبض بالحياة ولا يحرك في الناس ساكنًا ولا يأتي من ورائه نتيجة ولا ثمرة.

إن العامة وسواد الأمة ليقعون في حرج شديد عندما يرون قدوتهم وأسوتهم من الدعاة والعلماء والمصلحين يخالفون بأعمالهم أقوالهم، وتلك آفة خطيرة وداهية عظمى تثمر فقدان الثقة بين الأمة وقادتها من العلماء وأهل الصدارة والقدوة.

والناظر في سيرة نبي الأمة والداعي الأول ﷺ يجد أنه قد لُقب قبل البعثة بالصادق الأمين، فهل بعد الصدق والأمانة إذا توفرتا في شخص أن يكذب على الله أو يخون قومه ويدلس عليهم؟ فكان من دواعي الثقة عند ذوي الفطر السليمة والعقول الناضجة صدق الداعي وأمانته وسلوكه وخلقه العظيم الذي تحلى به وكان طبيعة فيه وميزة في أحواله ومعاملاته كلها مع العام والخاص، وصح عنه ﷺ أنه قال: «يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار - أي تخرج أمعاؤه من بطنه - فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون أي فلان ما شأنك كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه». رواه البخاري.

فكانت عقوبته شديدة وعاقبته مريرة لأنه دل الناس على الخير، فمنهم من استقام وفاز بالجنة، ورغم أنه كان سببًا في نجاة غيره إلا أنه لم ينتفع هو بعلمه، فكان بمثابة النار التي تأكل نفسها لتضيء لغيرها، وتلك هي خسارة الدنيا والآخرة، أن يخرج الإنسان بغير زاد رغم معرفته وعلمه الذي آتاه الله إياه، وما أجمل ما ذكره ابن القيم رحمه الله - في كتابه الفوائد - وهو يصف هذا الصنف الخبيث من الدعاة، حيث قال: «علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلمُّوا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة

قطاع طرق». اهـ. إنهم صنف خبيث من الدعاة من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يفتون الناس بغير الحق ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا.

افتقاد القدوة الصالحة وأثره على الأمة

والملاحظ في هذه الأيام هو افتقاد القدوة الصالحة من بعض من تصدروا للدعوة فكانوا حجر عثرة في سبيل السالكين والمجدين، وأثمر ذلك خطرين شديدين:

أ- الانفصال الخطير في عقول العامة بين العلم المطبوع في الكتب والمسموع من ألسنة العلماء وبين العمل والتطبيق في واقع الحياة ودنيا الناس، فقد حدثت فجوة هائلة بين العلم والعمل.

ب- فقدان الثقة بأهل الصدارة والعلماء نتيجة لزلات بعضهم الفاضحة، وزلة العالم بلاء متعد ضرره إلى الأمة بأسرها، ومركز السلامة في دائرة الأمن بالنسبة للأمة هي ثقتها بعلمائها فهم قادتها وأولوا الأمر فيها.

فكثير من الدعاة - إلا من رحم ربي - يدعو الناس إلى احتقار الدنيا والزهد فيها وهم أول الناس مسارعة إليها وحرصًا عليها، ومنهم من ينهى عن الغيبة والنميمة وتجريح الأشخاص وغض الطرف عن مساوئهم والنظر إلى محاسنهم ثم هم يترصدون الأخطاء لبعضهم ويتصيدون الزلات ويفضحونها ولا يسترونها حرصًا على وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم، هذا فضلاً عن إظهار الشماتة بمن ابتلي أو أصابه الضر في نفسه أو ماله أو ولده، ومنهم من يرغبون الناس في الورع والبعد عن الشبهات والزهد في فضول الحلال خشية الوقوع في الحرام، ثم هم يحومون حول الشبهات ويحرصون على المنصب والجاه بأي وسيلة وأي طريق، وتلك الصور المؤسفة وكثير غيرها هي أعراض لمرض القلب ونقص الإيمان وقلة التقوى، وأصحابها أنفسهم في حاجة إلى علاج كي يبرءوا منها، فإن صورتهم تدعو إلى السخرية من أناس يدعون إلى الفضيلة والزهد وهم يعانون من التخمة ويجمعون الأموال ويشيدون البنيان.

جيل القدوة

ورحم الله سلف الأمة حيث قل كلامهم وكثرت أعمالهم، وكانت طرائقهم وسيرهم غرة في جبين الدهر لكل سالك طريق الآخرة، فكانوا كالنجوم التي يقتدى بها في دياجير الظلام وأستار الليل.

إن لسان الحال أبلغ وأصدق من لسان المقال، والصحابة لم يكونوا على معرفة كاملة بلغة البلاد التي فتحوها، ولكنهم خرجوا إليها بلغة العمل، وهذه اللغة يفهمها جميع الناس وهي أقصر طريق إلى الإقناع والتصديق، فرأى الناس منهم الصدق والأمانة في المعاملة والهمة العالية والنشاط في العبادة والطاعة، فتأثرت قلوبهم ودخلوا في دين الله أفواجًا.

يستطيع فرد أن يغير أمة منحلة بالدعوة والقدوة، ولا تستطيع أمة كاملة عابدة أن تغير فاسدًا واحدًا بمجرد العبادة، فمناط التغيير هو الدعوة، ولابد للداعي أن يكون قدوة صالحة، فالناس ينظرون إلى المنهج الذي يدعو إليه هل هو واقع حي مطبق في حياته أم هو مجرد دعوى يدعيها باللسان، فإذا رأوه يصدق قوله فعله انقادوا إليه بحب وولاء، وآمنوا عن يقين صادق بما يدعو إليه بل وأصبحوا هم كذلك دعاة إلى منهج الحق، فلا يكتفون بتطبيق المنهج على أنفسهم وإنما يصبحون دعاة لغيرهم، وبذلك ينتشر الحق والخير، والبداية كانت هي القدوة الحسنة التي صلحت في نفسها واجتهدت لإصلاح غيرها، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾. البقرة (٤٤)

إن غياب القدوة الصالحة يفتح باب الشيطان ليشكك في صدق المنهج كله، ويسمح بالدخول إلى العقول ليفسدها ويغرس فيها الوهم والظن والشك ويسقيها بالسم الزعاف ويقلب فيها جميع القيم والموازين لتخرج من كل هذا التخبط بنتيجة واحدة وهي أن هناك كلامًا يُقال وحقائق مسطورة في بطون الكتب، وهناك واقعًا يختلف مع هذه الحقائق وتلك القيم، وتلك النتيجة المرة تموت في مهدها بوجود القدوة الصالحة.

ومع إشراقة عام جديد، هل نعود إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، نتمسك بهما ونسير على هديهما فتطابق أقوالنا أفعالنا، ونكون دعاة إلى ديننا بعقيدتنا وسلوكنا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

والحمد لله أولاً وآخراً

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهًا مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهًا مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة.
- ٥٥٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد

دعوة
لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله وبعـــد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُّبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى ، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق. فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد